العلاقات السعودية السوفيتية

في ضوء كتاب: ((عهد الملك سعود (1953م _1964م) رؤية سوفيتية))

دراسة تحليلية

م.د علي فاروق محمود الحبوبي

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

Saudi-Soviet Relations in the light of the book ((Saud Kings reign 1953-1964 AD Soviet Vision)) (analytical study)

ملخص البحث

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن أهم مفاصل العلاقات السعودية السوفيتية من خلال قراءة كتاب: (عهد الملك سعود 1953-1964م رؤية سوفيتية) قراءةً تحليلية تُحاول أن توضح أهم الأبعاد والسِمات التي تتسِمُ بها طبيعة هذه العلاقات, وقد اتضح في هذا البحث أنها تتوزع على سمتين مُهيمنتين تتصفان بالتناقض والتنافُر هُما: (التقارب) و (التباعُد), وقد هيمنت الصفة الثانية: (التباعُد) على طبيعة العلاقة بين النظامين السوفيتي والسعودي؛ لغياب دواعي تحقُّق الصفة الاولى: (التقارب), ويتصلُ ذلك بأسبابَ ومعوقات حالت دون حدوث حالة من التقارب, وضخّمت حجم التباعُد الحاصل بين الاثنين, ومن أهمها: الوجود الأمريكي وهيمنتهُ على السياسة السعودية, والاختلاف الحاد بين مُتبنيات النظامين السوفيتي والسعودي الآيديولوجية.

Abstract

This research seeks to reveal the most important joints of Soviet-Saudi relations. Reading the book: (The era of King Saud 1953-1964 AD, a Soviet vision) is an analytical reading that attempts to clarify the most important dimensions and features that characterize the nature of these relations. Dissonance are: (convergence) and (divergence), and the second adjective: (divergence) dominated the nature of the relationship between the Soviet and Saudi regimes; First: (Convergence), and this is related to current reasons, and controlling the size of the distance between the two, the most important of which are: the American presence and its dominance over Saudi politics, and the sharp difference between the ideological adoptions of the Soviet and friendly regimes.

(Keywords:الكلمات المفتاحية)

Saudi-Soviet Relations, Saud Kings reign

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المهتدين أبي القاسم محمد, وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغُر الميامين المُخلصين, وبعد:

فمما لا شك فيه ان التاريخَ قراءةٌ للأحداث وهو فعلٌ ماضٍ يستدعي في لحظة الحاضر ما حصل فيما مضى, وقراءةُ هذا النص المُؤَرْشِف لزمنية الماضي تقع في ميدان (قراءة القراءة):وهو الخط الذي يقع بحثنا في مسارهِ، ويتلخص بأنهُ مُحاولةٌ لاستدعاء وإعادة انتاج مواقف وأحداث تاريخية حصلت, وسجلتها اقلام المؤرخين, وحللتها اذهان المعنيين بالنص التاريخي, وهذا اللون من البحوث يتشكّل من ثلاث طبقات تأريخية الاول هو النص التاريخي الخام والثاني هو قراءة مؤرشِفة للاول والثالث _وبحثنا هذا منهُ_ هو اضواء كاشفة تحاول ان تسبرُ اغوار القراءة المُؤرشفة (الثاني)؛ لذا اسميناهُ قراءة القراءة.

وقد نهض بحثنا هذا _وهو قراءةُ القراءة_ على دراسة كتاب: (عهد الملك سعود 1953م-1964م رؤية سوفيتية) للباحثين الروسي جريجوري كوساتش والسعودي ماجد بن عبدالعزيز التركي في مُحاولةٍ منه للكشف عن العلاقات التي تربط الاتحاد السوفيتي بالسعودية, فقد كان هذا الكتاب ثمرة تعاونٍ بين هذين الدارسين, لذا فانه قدم لنا رؤيةً موضوعيةً مُحايدةً لانه المؤلِّفين يمثلان ثقافتين مُختلفتين ويتناولان الموضوع المقروء بموضوعية.

وتأتي اهمية موضوع الكتاب (المقروء في بحثنا هذا) من كونهِ يقرأ عهد الملك سعود في ضوء معلومات مهمة مصدرُها الارشيف السوفيتي الذي تم الكشف عنهُ والسماح للمؤلِّفين بالاطلاع عليه ومن هنا ايضاً سيأتي الجديد في هذا الكتاب فضلاً عن ان القارئ العربي عامة والسعودي خاصة سيطلع على معلوماتٍ ووجهات نظر وتقاريرَ وتحليلات لم تكن مُتاحة لهُ خارج اطار هذا الكتاب.

وفي مُحاولةٍ منا لبلوغ الهدف والغاية التي بُني عليها البحث وضعنا خارطة طريق وخطة دراسة تحاول ان تُغطي الموضوع المدروس: (العلاقات السوفيتية السعودية من خلال كتاب عهد الملك سعود)، من جوانبهِ كُلها, فكانت على تمهيدٍ وثلاثة مباحث وخاتمة, فأما التمهيد فقد سُلّطت فيه الأضواء على الكتاب العيّنة (عهد الملك سعود) عِبرَ قراءةٍ تحليلية وقفتَ عندَ اهميتهِ، والاهداف التي حاول ان يحققها، والخطة التي سار في ضوئها المؤلفان في تغطية الموضوع المدروس فضلاً عن أهمية الكتاب وندرة مصادرهِ, وأما المبحث الأول فقد حاول

قراءة عهد الملك سعود قراءةً عامة، حاولت ان تستعرض الاوضاع العامة، وتكشف عن ماهية العلاقات التي كانت تربطُ النظام السعودي في هذا العهد بالنُظم السياسية الخارجية والاقليمية, على حين تناول المبحث الثاني التقارب السوفيتي السعودي مُحاولاً قراءة واقعهِ السياسي آنذاك والوقوف عندَ مُسبباتهِ, تنتهي المباحث بالمبحث الثالث الذي قرأ التباعُد السوفيتي السعودي قراءة فاحصة، كشفت عن واقع هذا التباعُد وأهم العوامل التي تسببت بهِ, وخُتِمَ البحث بخاتمةٍ اشتملت على أبرز النتائج التي توصل إليها.

وقد استعان البحثُ بجملةٍ من المصادر والدراسات والوثائق التي ساعدتهُ على الكشف عن أهم المفاصل التي شكّلت بِنية العلاقات بين النظام السوفيتي والنظام السعودي، في خمسينيات وستينيات القرن العشرين، ومن أهمها كتاب (عهد الملك سعود) وهو الكتاب المقروء في بحثنا هذا, وكتاب (تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر وحتى نهاية القرن العشرين) لـ (اليكسي فاسيلييف), وكتاب (تاريخ العربية السعودية بين القديمِ والحديث) لـ (مضاوي الرشيد)، وبترجمة (عبدالاله النعيمي), فضلاً عن بعض المُذكرات وكتب الارشيف، كـ (ارشيف الدولة الروسي للتاريخ الحديث) وغير ذلك.

وفي ختام هذه المُقدمة نسأل الله تعالى ان يوفقنا لما يرضى وان يجعل عملنا هذا اضافةً جديدةً للمكتبة التاريخية، وأن يُسدِّد خُطانا ويأخذ بأيدينا إلى سواء السبيل، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

التمهيد

الكتاب العيّنة: قراءة تحليلية

يُمثلُ كتاب: ((عهد الملك سعود رؤية سوفيتية)) ركيزةً اساسيةً من ركائزِ بحثنا هذا؛ إذ ستتوقف عليه بِنية مفاصل البحثِ كُلها, ومن هنا فإن الوقوف عندهُ وقراءتهُ قراءةً وصفيةً تحليليةً عامة في التمهيد يحملُ بين طياتهِ أهميةً بالغة؛ إذ سيكون هذا الاجراء بمثابة المدخل الذي لابد للمُتلقي أن يطَّلعَ عليه ليتعرفَ على النقطة المركزية التي ينطلقُ منها البحث.

يُشكلُ الكتاب العيّنة ثمرةَ تعاونٍ بين باحثين يُمثلان ثقافتين مُتباينتين (روسية) يُمثلها الباحث (جريجوري كوساتش)، وهو مُتخصصٌ في دراسات التاريخ السياسي, و(سعودية) ويُمثلُها الباحث (ماجد بن عبد العزيز التركي)، وهو مُتخصصٌ في العلاقات الروسية/السوفيتية, وقد خاض الباحثان: ((قراءة تحليلية مُتأنية لفترةٍ هامةٍ من فترات التحول السياسي الدولي, شهدت فيها المنطقة العربية صراعات مُتناقضة, واتجاهات فكرية سياسية مُتباينة))[1].

وتأتي أهمية موضوع كتابهُما من كونهِ يقرأ عهد الملك سعود في ضوء معلومات مهمة مصدرُها: (الارشيف السوفيتي) الذي تم الكشف عنه, والسماح بالاطلاع عليه, على الرغمِ من أن بعض المعلومات لا تزالُ سرية, ومن هنا يأتي الجديد في هذا الكتاب؛ إذ سيطلع القارئ السعودي والعربي بشكلٍ علم على معلوماتٍ ووجهاتِ نظرٍ وتقاريرَ وتحليلاتٍ لم تكن في مُتناولهِ خارج سياق هذا الكتاب, الذي يُمثل الوجه الآخر والمهم من

حيث الواقعية فيما يتصل بعهد الملك سعود, فما عند القارئ العربي والسعودي بخاصة، من معلومات تنقُصها الرؤية السوفيتية لمرحلةٍ مهمةٍ من مراحل الدولة السعودية المُعاصرة، وهي المرحلة الأكثر جدلاً في المجال السياسي الداخلي[2] .

وعلى موضوع الكتاب المُهم ومصادرهِ النادرة تتمحور أهميتهُ، في قراءة مرحلة مهمة من مراحل أهم مملكة في الخليج العربي، وعلاقاتها مع محورٍ سياسيٍ مهم من محاور القوى الناشطة، في منطقة الشرق الأوسط عامة، والخليج العربي خاصة, ومما يمنح هذا الكتاب أهمية أخرى، ويُعطيهِ فاعليةً بحثية، بالمُقارنة مع المصادر التاريخية الأخرى اعتمادهُ على النصوص الوثائقية الخاصة بالاتحاد السوفيتي آنذاك مما يُعطيهِ مركزاً مهماً بين الدراسات التي تُعنى بقراءة العلاقات الجيو سياسية بين الدول العربية والقوى العالمية الكبرى.

ويتمفصل الكتاب على فصولٍ ثلاثةٍ بالغة الأهمية شكّلت خارطة طريقهِ وخُطتهِ التي سار الباحثان في ضوئها, فقد بُنيت فصول الكتاب بناءً منطقياً قائماً على مُراعاة: (المُقدمات والنتائج).

فبدأ في فصلهِ الاول بقراءة حال المملكة العربية السعودية، قبل عهد الملك سعود من وجهة نظر الباحثين السوفيت، إبتداءً من الوضع السياسي والاقتصادي في المملكة العربية السعودية، بعد رحيل الملك عبدالعزيز[3], ثم تنتقلُ القراءة إلى الكشفِ عن دور المملكة العربية السعودية في الشرق الأوسط في عهد الملك سعود[4]، وينتهي هذا الفصل بدراسة احتمالات التقارب بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية, ويأتي الفصل الثاني ليُعنى بدراسة إمكانات التقارب السوفيتي السعودي إبّان حقبة الدفء السوفيتية، ثم دراسة علاقة المملكة العربية السعودية بالمسلمين السوفيت، وعودة الاتصالات الدينية المُباشرة، فضلاً عن قراءة تحليلية لعهد (نيكيتا خروشوف)[5], الذي تجددت فيه العقيدة الايديولوجية السوفيتية وتغيرت فيه اولويات السياسة الخارجية، وانتهى هذا الفصل بدراسة المُمارسات السياسية الخارجية في عهد الملك سعود في النصف الثاني من الخمسينيات, ثم جاء الفصل الثالث ليشتغل على معوقات التقارب السوفيتي السعودي؛ فيقرأ نهج الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط[6], في ظلِ ظروف تعدد مراكز القوى المُتنافسة، ثم يدرُس سياسة الاتحاد السوفيتي في فترة انتهاء الدفء، والبحث عن الاتصالات المُباشرة مع المملكة العربية السعودية, ليُختم بدراسة النُخبة السياسية السوفيتية، وتقديمِ قراءةٍ عامةٍ لسياسة التقارب مع العالم العربي، وأسباب انهيار الدفء السوفيتي.

وفي ظلِ خُطتهِ الشاملة هذهِ يُقدم لنا هذا الكتاب المهم رؤيةً بانورامية للعلاقات السوفيتية السعودية في عهد الملك سعود, بناءً على مُستندات ووثائق سوفيتية ذات أهمية جوهرية، أسهمت اسهاماً فاعلاً، في نقل القراءة التاريخية في هذا الكتاب، من الاقتباس والاعتماد على المصادر البحثية إلى التثبُت والدقة من خلال الاعتماد على نصوص وثائقية، جرى تداولُها على أرض الواقع التاريخي مما يُقرّب هذا الكتاب أو القراءة التحليلية الجادة من مناخ الكتابات العلمية التي تعتمدُ على الحقائق الميدانية، وتُهمّش الآراء المُعتمدة على الحدسِ والظن.

ومن هنا اكتسب هذا الكتاب أهميةً استراتيجية جعلت البحث يعتني بقراءة إجراءاته التحليلية العميقة؛ لكون هذه المنطقة منطقةً بِكراً تستشرفُ حقبةً زمنيةً خصبةً بالصراعات والتناحرات، وظهور الايديولوجيات, وكُل ذلك يُستعَرض في ضوء رؤيةٍ قريبةٍ من ميدان الحدث وطبيعة السياسة سواء كانت عند المؤلف السوفيتي او السعودي, وربما يُسجلُ هذا التحرُك خطوةً جديدةً في الدراسات التاريخية التي عُنيت بالخليج العربي.

المبحث الأول

عهد الملك سعود

قراءة عامة للأوضاع والعلاقات

في أواخر سنوات حياة عبدالعزيز آل سعود اخذت ادارتهُ لشؤون المملكة تسوء شيئا فشيئا؛ لأن مؤسس الدولة الإقطاعية المركزية كان وليد عصر ولَّى زمانهُ, وليد المجتمع الاقطاعي القبلي، ولم يكن ليفهم التغيُّرات أو يتقبلُها, وبفضل الزيادة السريعة في استخراج النفط، وتعديل اتفاقيات الامتياز ازدادت عوائد السعودية في السنوات الأولى التي أعقبت الحرب العالمية الثانية عشرات المرات, وعلى الرغمِ من ذلك فقد ظلَّت المملكة بمثابة ضيعة اقطاعية عائلية كبيرة, ويعتقدُ الحُكَّام ان عوائِدها يجب ان تُنفق في المقام الأول على احتياجات العائلة المالكة, وبعد أن سافر أفراد العائلة السعودية في الاربعينيات والخمسينيات واطلعوا على ظروف حياة الطبقات الحاكمة في أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، تاقت انفُسهم إلى الترف، واقترن ذلك بالعجز التام عن التوفيق بين النفقات والدخل, والعزوف عن حساب المال، فهو امرٌ تتميزُ بهِ الارستقراطية الاقطاعية القبلية, فضلاً عن السخاء، وهو خصلة بشرية إيجابية، تحولت عندهم إلى النقيض حينما صارت إسرافاً لم يسبق لهُ مثيل في التاريخ، ببلدٍ تتشكلُ غالبيتهُ من سكانٍ شبه جياع، يرزحون في لُجة الفقرِ والأمراض, وقد بدأ تصاعُدٌ مجنون في الانفاقِ على البلاطِ, وكثرة الأمثلة على إسراف العائلة المالكة، وورد ذكرُها في العديد من الكتب والمجلات والصحف بحيث لم يعد ثمة داعٍ للاستفاضةِ فيها(7).

توفي عبد العزيز والد الملك سعود في التاسع من تشرين الثاني 1953 في الطائف، وقد اقسم زُهاء مئة أمير، اجتمعوا عند جثمانهِ يمينَ الولاء لسعود الذي بايعوهُ ملكاً ولفيصل(8), الذي بايعوهُ ولياً للعهد, ونُقل جثمان عبد العزيز جواً إلى الرياض حيثُ دُفن وفق التقاليد المُعتادة، دون شاهد أو تابوت أو ضريح، بحيث يصعب تمييز مقبرتهِ عن سواها, وهي تقع إلى جوار مقابر سائر افراد العائلة ومنهم احب اخواتهِ (نورا), وبذا ظلّ الوهابيون الذين هدموا القِبابَ وشواهد القبور امام الرأي العام مُتمسكين بمبادئ مذهبهم الذي يحظُر تشييد الاضرحة على القبور(9).

وقد نشب صراعٌ عنيفٌ على السلطة بين ولديْ عبدالعزيز الكبيرين سعود وفيصل فورَ وفاتهِ, وطوال عقد الخمسينيات اقتربت الدولة السعودية من الانهيار في مُناسباتٍ عدة, وبدا مُستقبل البلاد غامضاً نتيجة الصراع السياسي الداخلي المُتفجر بين الاخوين السعوديين, وعلى امتدادِ هذهِ الفترة كان للغليان السياسي في العالم العربي: (أزمة السويس عام 1956[10]، والحرب العربية الاسرائيلية عام 1967[11]) تأثيرهُ في الأحداث السياسية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية, وقد هددت ايديولوجيات خارجية مُختلفة _كالقومية العربية[12]، والاشتراكية الناصرية، وغيرها من الحركات القومية والاشتراكية_: الحُكم السعودي من أساسهِ, وأصبحت القوة الدافعة لتطوير سياسة المملكة _خاصة في عهد فيصل في أوائل الستينيات، وقد ابرزَ فيصل الهوية الاسلامية للدولة السعودية_ واصبح هذا استراتيجية مُضادة للنيل من الايديولوجيات الاوسع للقومية العربية، وتثبيتِ نفسها لاعباً مُهماً في السياسة الإقليمية العربية، بعد عقودٍ من البقاء على هامشِ عالمٍ عربيٍ تتسيَّدهُ مصر[13].

كان ولي العهد الجديد سعود بن عبد العزيز المولود عام 1902 الابن الثاني لعبد العزيز بعد تركي الذي توفي شاباً بسبب اصابته بالإنفلونزا, وأم سعود من آل عريعر الارستقراطيين، وهم شيوخ (بنو خالد)، وقد توفيت عام 1969, وولد فيصل بن عبدالعزيز عام 1906 من الزوجة الثالثة لعبد العزيز، وهي من آل الشيخ, وقد جرى بين الأخوين غير الشقيقين تنافُسٌ مُستمر، لم ينقطع، حتى بعد وفاة والِدُهما على الرغم من اليمين الذي اقسماهُ لهُ, وكان لسعود اربعين ولداً وهو عددٌ مُقارِبٌ لعددِ اخوتهِ, أما غريمهُ فيصل فلم يكن لهُ سوى ثمانية أولاد، بعثَ خمسةً منهم للدراسة في المدارس والجامعات الأمريكية، وواحداً إلى اكسفورد، وآخر إلى كلية ساند هيرست العسكرية الملكية البريطانية, وفي آذار مارس 1954 أدلى سعود في أول اجتماع لمجلس الوزراء ببيانهِ السياسي الأول بصفتهِ ملكاً, وقد أعلن فيه عن تمسُكهِ بأهداب الدين، وعزمه على مواصلة سياسة والده، وأساليب حكمه، وقال إن هدفه الأول هو تثبيت أصول الدين والشرع، وإن من مهمات حكومته تعزيز الجيش ومُكافحة الفقر والجوع والمرض، وتحسين الخدمات الطبية، وتأسيس وزارات للمعارف والزراعة والمواصلات, وقد تضمن خطاب العرش الذي القاه سعود فقراتٍ صارت فيما بعد سمةً مُلازِمةً لكل التصريحات السياسية للحكومة السعودية، ومن اهمها: التأكيد على الالتزام بالتقاليد ومُراعاتِها, وفي الوقت نفسه الإشارة إلى الرغبة في إجراء تحديث وتطوير في الجهاز الحكومي, وقد أُسست في المملكة العربية السعودية ثمانِ وزارات: الداخلية, الدفاع والطيران, المواصلات, المعارف, المالية والاقتصاد الوطني, الصحة, التجارة والزراعة, والخارجية, ونجدُ بين الوزراء عدداً من الاشخاص الذي ستظلُ اسماؤهم تتردد طويلاً في الحياة السياسية بالبلد مثل: فهد بن عبدالعزيز وزير المعارف, سلطان بن عبدالعزيز وزير المواصلات, رشاد فرعون وزير الصحة, غير ان الملك كان يتدخل باستمرار في اعمال اخيه فيصل ويُقيد سُلطتهُ, وفي أواخر الخمسينيات بلغ الصراع الخفي بينهما حداً جعل الناس يتحدثون عن: (ازدواجية السُلطة) في المملكة[14].

وقد ارتفعت عائدات الملك سعود النفطية خلال العام الأول لهُ على العرش إلى 286 مليون دولار، وبلغت في عام 1954م 340 مليون دولار، ثم انخفضت إلى 290 مليون دولار في عام 1956م، وبقيت راكدةً بين عامي 1957-1958، ولم تؤدِّ زيادة العائدات النفطية إلى حل المشكلة المالية المُرتبطة بالديون التي ورثها سعود من والدهِ, والتي يُقدر أنها كانت 200 مليون دولار في عام 1953م, وقد تضاعف هذا الدين أكثر من مرتين بحلول عام 1958م عندما بلغ 480 مليون دولار، وفقد الريال السعودي نصف قيمتهِ الرسمية مقابل الدولار, ورفضت آرامكو والبنوك الدولية طلبات الملك سعود في إقراضهِ, وجمد الملك سعود المشاريع الحكومية القليلة التي بدأها، لكنهُ واصل انفاقهُ على بناء قصورٍ فخمة, وفي الحقيقة أنه في العام 1953م حدد رواتب الامراء بـ(32000) دولار سنوياً, مع مُخصصاتٍ أخرى، على الرغمِ من ديون الحكومة, وكان الأمراء يعتمدون في السابق على كرم عبد العزيز وترتيبات غير رسمية، يحصلون بها على عطايا مُختلفة نقدية أو غير نقدية، من والدهم, الذي كان وزير المالية يُنفذ تعليماتهِ, هذهِ هي خلفية الأزمة السياسية التي جعلت عهد الملك سعود يرتبطُ بأشد الفترات اضطراباً في تاريخ الدولة السعودية الفتية، وأصبحت مالية الحكومة: أو بالأحرى نهبُها, المَظلّة التي جرى تحتها الصراع العنيف على السلطة بين الملك سعود واخيه الطموح الأمير فيصل, وخاض كلٌ من سعود وفيصل معركةً داخلية على تحديد المسؤوليات، وتوزيع وظائفِ الحكومة[15].

وقد رسمت المدونات التاريخية المحدودة التي توافرت عن تلك الفترة صورةً لسعود وفيصل، أظهرتهُما على أنهما على طرفي نقيض, وكثيراً ما تربط تلك المدونات سعود بالحكم القبلي التقليدي، ونهب عائدات النفط وترف الحياة في القصور، والفساد والدسائس داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، في حين تربط فيصل بالرصانة والورع والطُهر والحكمة المالية والتحديث، ويُضاف إلى ذلك أن النزاع بين الأخوين كثيراً ما يُوصف بأنه ناجمٌ عن رغبةِ فيصل في الحدِ من إنفاق أخيه، وحل الإزمة المالية في المملكة, وكان يُعتقد أن مالية الحكومة هي الدافع وراء محاولات فيصل المُتعاقبة لتهميش الملك، وتحجيم سُلطاتهِ المُختلفة, لكن الازمة لم تكن اقتصادية ومالية فحسب؛ بل كانت اجتماعية وسياسية أيضاً، ومن دون التقليل من حجم الأزمة المالية، فإن فهم هذه السنوات المُضطربة ينبغي أن يمضي أبعد من الديون السعودية، وينظر في الصراعات الداخلية بين أبناء سعود الذي اندلعت فور وفاتهِ[16].

لاشك أنه في ظل هذه المناخات الداخلية المُضطربة ستنمو رغبات خارجية، تتمثل بمحاولات القوى المُتصارعة في منطقة الخليج العربي الاقتراب من الداخل السعودي، والسيطرة على مراكز القرار فيه لتحقيق مآربها, فالضعف الخارجي هو نتيجة طبيعية للضعف الداخلي، وما لم تتوحد الخطابات، وتقوى مراكز السُلطة، ومواطن صناعة القرار في المملكة، لم تقوَ شوكة الدولة الخارجية، وقد أدَّت هذه الأسباب إلى ظهور قوى جديدة (ومنها الاتحاد السوفيتي) حاولت أن تقوي العلاقات بالمملكة العربية السعودية في عهد الملك سعود.

ان الطابع الاقطاعي القبلي للنظام السعودي في عهد الملك سعود يُمثلُ في جوهر الامر حاجزاً طبيعياً، يُقيد احتمال تحرُك البلاد باتجاه اتباعها سياسة خارجية مُعادية كُلياً للإمبريالية[17], وهذا يتحدد بالدرجة الأولى

بأن الأوساط الإقطاعية والدينية في المملكة العربية السعودية تُتابع بقلق الاتجاهات الديمقراطية في الدول المجاورة خشية فقدان النظام الاجتماعي في بُلدانها لمتانتهِ، وقد ساعد هذا القلق على تقوية مواقع الإمبرياليين الأمريكيين الذين مارسوا تأثيرهم الاقتصادي والعسكري والدبلوماسي في الحكومة السعودية، وكان هذا التأثير عُنصراً ساعدَ على بقاء القوى الرجعية في البلاد، الأمر الذي قادَ بدورهِ إلى أن اصبحت السياسة الخارجية للملك سعود أكثر رجعيةً[18].

وفي الحقيقة أن التصورات التي وردت في الفقرات السابقة قدمها الباحث السوفيتي بروشين، وهي قراءة نابعة من تمعُنٍ في السياسات الخارجية الشرق أوسطية والخليجية، ومنها السياسة الخارجية السعودية في عهد الملك سعود, وقد شخصت مواطن الخلل في بِنية النظام السعودي الداخلي واسقاط هذا الخلل على المُمارسات السياسية الخارجية للمملكة العربية السعودية, فالنظام السعودي في حقيقتهِ نظامٌ قبلي رجعي، ينهضُ على مبادئ الوراثة، وبقاء الحُكم في العائلة المالكة, وهذا يجعل هكذا نمط من الأنظمة ضعيفاً امام التحولات والتغيُرات السياسية التي تحدثُ في الخارج، كالنظام الديمقراطي, الذي نادت بهِ الولايات المتحدة الأمريكية، وادَّعت حُسن نيّتها في تطبيقهِ في بلدان الشرق الأوسط, مما تسبب في بث الذُعر بين صفوف أفراد هذا النظام الملكي القبلي المُتشبث بالسُلطة, وهذا يفسر قوة العلاقات السعودية مع الولايات المتحدة الأمريكية، لان افساح المجال امام التدخلات الأمريكية في النظام السعودي سيقي هذا النظام من مغبة الانهيار؛ إذا ما شاعت في المُحيط الخليجي والعربي بشكلٍ عام مبادئ الخطاب الديمقراطي.

إن التوسع الأمريكي الذي بدأ بعد الحرب العالمية الثانية كان يستهدف الدخول بشكل مضمون إلى المنطقة الغنية بالثروات النفطية، وإقامة رأس جسر لمواجهة الإتحاد السوفيتي, وما كان هذا التوسع ليتم بدون تطابق مصالح الأنظمة الإقطاعية المُحافظة، ومنها النظام السعودي من جانب, وواشنطن المُتهمة بدعم بناء البِنية السياسية لهذهِ الأنظمة من جانبٍ آخر, فقد كانت هذه الأنظمة المُحافظة تُمثلُ آخر حاجز في طريق تنامي اتجاهات التفكير المُعادية للإمبريالية، وللأفكار الراديكالية[19]، والاتجاهات الديمقراطية الثورية التي كانت تستحوذُ أكثر فأكثر على الجماهير الواسعة في الأنظمة الحاكمة في شبه الجزيرة العربية[20].

لقد كان أسلوب البحث السوفيتي بوجهٍ عام في فترة الملك سعود ينطلق من فكرة حتمية تقتضي وجود رابطة بين الخصوصية السياسية والاجتماعية لنظام السلطة والسياسة الخارجية التي يتبعها, ومن الطبيعي أن يشمل ذلك المملكة العربية السعودية، حتى إذا كانت هذه الدولة اقطاعية وقبلية أو كانت حركتها نحو الطرُق الجديدة الرأسمالية[21], فهي محفوفة بكثير من رواسب مرحلة ما قبل ذلك، أو كان نظامها_كما كتب نيكولاي بروشين واليكسي فاسيلييف ضمناً_ يُعدُّ من أكثر الأنظمة تخلُّفاً في الكرة الأرضية, وإذا ما كانت التحولات التي قام بها هذا النظام قد انطلقت من إنشاء جَيب إنتاجي رأسمالي حديث تُسيطرُ عليه الولايات المتحدة، فإنه يجب أن تتسم سياسة هذه الدولة بصورة كاملة بسمات نهجها السياسي الداخلي، لكن من جانب آخر فإنه حتى الدولة المُتخلفة والرجعية يمكن أن تُصحح خطها في السلوك السياسي الخارجي إذا ما حدثت تغييراتٌ جذرية في

منظومة العلاقات الدولية, ومنـــــــها الفرع الإقليمي(العربـــــــــــــي الاســــــــلامي والشـــــــــرق أوسطي)[22].

وبهذا تتضح طبيعة النظام السعودي في عهد الملك سعود وهو نظامٌ ذو بِنية رجعية تستندُ إلى الماضوية، وتحاولُ أن تتشبث بالمبادئ والقيم والأُسس التي نهضت عليها المملكة العربية السعودية الحديثة، منذُ تأسيسها على يد الملك عبدالعزيز, وكانت هذهِ البِنية الجمودية سبباً مُباشراً في فتح مجالات الاختلاف، وتصاعد وتيرة الصراعات الداخلية الأمر الذي جعل علاقاتها الخارجية مع مُحيطها العربي والقِوى الأجنبية الداخلة في حيّزِ هذا المُحيط مبنيةً على نقطة مركزية، تتمثل بترميم دعائم هذا النظام وترسيخِ جذورهِ، والحيلولة دون انهيارهِ, لذا سنجد في المبحث الثاني من بحثنا هذا صوراً من صور التقارب بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفيتي، على الرغم من أن المشهد العام يكشفُ عن أنهما ضدان مُختلفان، بحسب المبادئ التي يتبناها كُلٌ منهما، فالأول (النظام السعودي) يتبنى ويُطبق المبادئ الدينية التي يعدُّها أساس التشريع لتسيير حياته الداخلية, والثاني (الاتحاد السوفيتي) يتبنى خيارهُ الشيوعي الإلحادي.

المبحث الثاني

التقارب السوفيتي السعودي

قراءة في الواقع والمُسبّبات

حاولت جهود الباحثين السوفيت تلمُسَ نُقاط التلاقي بين الاتحاد السوفيتي وبين السياسة الخارجية السعودية، في حقبة الملك سعود، ولاسيما في فترة الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين, وقد لاحظت تلك الجهود تقارُباً واضحاً بين السياستين الخارجيتين السوفيتية والسعودية كان نتيجةً طبيعيةً لتغيُر المناخ السياسي في منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي, وقد خدمت تلك التقلبات التحرُكات السوفيتية وهيَّأت لها سُبل الانتشار والتمدُد في المنطقة أكثر من الفترة السابقة في ظلِ حُمّى الصراع على التسيُّد، ومسكِ زمام الأمور في بلدان الشرق الأوسط.

وقد شهدت فترة النصف الثاني من الخمسينيات ومطلع الستينيات توسعاً في مجال التعاون السوفيتي السعودي، توفرت له مُسوغات عدة, فإذا ما غيرت فترة الدفء في الاتحاد السوفيتي مواقف النُخبة في الحزب والدولة، من قضايا التعامل مع بلدان الشرق الأوسط والعالم العربي؛ فإن مجيء الملك سعود بن عبدالعزيز إلى السُلطة في المملكة العربية السعودية قد طرحَ مسألة تنويع اتجاهات السياسة الخارجية للمملكة, ومهما كان الحال فان تجدُد التعامل السوفيتي السعودي _وإن كان ضعيفاً ومحدوداً_ في سياقِ تطورهِ كان من الممكن أن يُشكل مُقدمةً مهمةً لاستعادة العلاقات المُباشرة السوفيتية السعودية على الصعيد الرسمي[23].

وفي أواسط الخمسينيات كان الاعتقاد السابق في العاصمة السوفيتية أن من الواجب إجراء تعديلات جدية في سياسة البلاد في الشرق الأوسط وهي غير مُمكنة التحقيق بدون تعديل العقيدة الآيديولوجية السوفيتية نفسها, وكانت هذه العقيدة تتجدد بين الفينةِ والأخرى، ويُربط هذا التجدد عادة باسم (نيكيتا خروشوف)، لكنها لم تبدُ بصفتها تخلياً عن الأحكام الاساسية, وفي مُقدمة ذلك العودة إلى منابتها اللينينية, وفي الواقع أن ظاهرة الدفء بعد رحيل (استالين)، كانت بمثابة محاولة من جانب القيادة السوفيتية الجديدة لفهم مغزى عمليات التغيير الجارية في العالم المُحيط للاتحاد السوفيتي، ومنهُ الشرق الأوسط، وكذلك مُجارات الأساليب المُتغيرة قياساً إلى فترة ما قبل الحرب والأعوام الأولى بعدها, للتعامل مع هذا العالم المُتغير، وبضمنه الفضاء الجيوسياسي العربي ايضاً, وقد وجِدت لذلك أسباب موضوعية؛ إذ ظهر هُناك لاعبون جُدد يصبُون إلى تثبيتِ أقدامهم، بصفتهم يُمثلون مراكز جذب اقليمي، وهذا الواقع الجديد ينبثقُ مباشرة عن أزمان الفترة الانتقالية في تطور الشرق الأوسط والعالم العربي، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية, حين تقلص دور الدول الأوربية الكبرى، في تطورهِ تقلُصاً كبيراً, واذا ما اكتسب الشرق الأوسط أكثر فأكثر سمات منطقة خالية من السيطرة السياسية المُباشرة، لهذهِ الدول, فإن الإتحاد السوفيتي تقدم نحو ذروة جبروته العسكري والسياسي فأصبحت البلدان التي نالت استقلالها في هذه المنطقة كيانات مُستقلة في العلاقات الدولية, وكانت العلاقات معها ضرورية للاتحاد السوفيتي، لا من أجل استحثاث عملية تصفية الاستعمار في المنطقة فحسب؛ بل من أجل ملء الفراغ السياسي الذي نشأ نتيجةً مباشرة لانسحاب بريطانيا وفرنسا من المنطقة[24].

ومن جهةٍ أخرى فإن أحداث حرب فلسطين في عامي (1948و1949)[25], قد اتسمت بأهمية مبدئية من أجل التمدد النهائي للخطوط العامة المُميزة للسياسة السوفيتية، في الشرق الأوسط اي ان النتيجة الرئيسية لها اصبحت تتمثل بظهور الأنظمة العسكرية على الصعيد السياسي الداخلي في عدد من الأقطار العربية، أظهر تطورُها اللاحق وقدرتها على إبداء مواقف مُتشددة تحت شعارات معاداة الإمبريالية، والدعوة لتحقيق الوحدة العربية؛ فقد تحولت منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية_ وهو اعتقادٌ ساد في الاتحاد السوفيتي_ إلى منطقة ذات أهمية بالغة بالنسبة للسياسة الخارجية للولايات المُتحدة الأمريكية, ولأهمية هذا الموضوع فقد كان أي طرحٍ لهُ على المجال الجيوسياسي في العاصمة السوفيتية، في النصف الثاني من الخمسينيات، ومطلع الستينيات كان لا يحظى بالمُصادفةِ حتماً؛ على اعتبار أن الشرق الأوسط يقع بالقرب مُباشرةً من الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي؛ مما يعني أن هذا المجال يميلُ إلى التحول لمنطقة مواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية[26].

في هذا المناخ المشحون بالنوايا السياسية المُعلنة، وغير المُعلنة من جانب الفرقاء السياسيين الذين تُمثلهم, ومنهم الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية؛ تجلَّت الدواعي التي توجب مد أواصر العلاقات بين الاتحاد السوفيتي، وبين أقطار الشرق الأوسط بعامة للحصول على مساحات صديقة يستطيع الاتحاد أن يتحرك بها، ويُناور للقضاء على أذرع الولايات المتحدة الأمريكية، تحت غطاء الخطابات السياسية التي بثتها الشيوعية

السوفيتية[27], القائمة على محاربة الإمبريالية التي بُني عليها الخطاب السياسي الأمريكي آنذاك, وكانت هذه النتيجة سبباً رئيساً في تحول العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبعض الاقطار العربية، من الجانب السلبي إلى الجانب الإيجابي نتيجة للتقلبات الحاصلة في المناخ السياسي العالمي عامة والعربي الشرق أوسطي خاصة.

وهكذا بدأ اهتمام القيادة السوفيتية ينجذب إلى المملكة العربية السعودية إذ كانت تحتل مكانة عامة في منظومة العلاقات الاقتصادية العالمية على الرغم من ان تحليل الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في المملكة العربية السعودية كما يرد في تقارير الاوساط الاكاديمية السوفيتية قد أقنع القيادة السوفيتية أن المملكة يمكن أو (يجب) أن تُعدَّ حلقة ضعف في نموذج التطور العالمي الذي أُستخدم في الاتحاد السوفيتي، بوصفهِ مصطلحاً ترسَّخ منذ وقت بعيد, وأن العلاقات المباشرة مع المملكة العربية السعودية، يمكن أن تساعد على تغيير الوضع في منطقة العالم العربي والشرق الأوسط عموماً في الخمسينيات وبداية الستينيات، حين كان الاتحاد السوفيتي يبحث عن نقاط الإسناد بشكل حلفاء مُحتملين لهُ من أجل تعزيز مواقعهُ في حدود هذا المجال الجيوسياسي[28].

وكنتيجة طبيعية لكل هذه التحولات المتسارعة في هذه المرحلة الزمنية من عمر العلاقة بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربي السعودية؛ بدت العناية السوفيتية بالخطابات السياسية السعودية الجديدة واضحة جداً، وصار من الممكن أن تتخذها القيادة السوفيتية آنذاك نقطة انطلاق نحو فتح آفاق جديدة وتغيير طبيعة العلاقات المُتأزمة مع المملكة العربية السعودية المعروفة بولائها للإمبريالية الأمريكية قبل عهد الملك سعود.

لذا نلحظُ ردة الفعل السوفيتية الإيجابية تجاه السياسة الخارجية السعودية، حين جرى في العاصمة السوفيتية السعي الى أن تُراعى بأقصى قدر الإشارات الواردة من الزعيم السعودي الجديد الملك سعود بن عبدالعزيز, وثمنت كل التثمين خطواته العملية على صعيد العلاقات في العالم العربي والشرق الأوسط, وقد عدت النُخبة السياسية السوفيتية هذه الخطوات دليلاً على ان المملكة العربية السعودية يُمكن أن تعمل باتجاهٍ لا يعني إبعاد بريطانيا وفرنسا نهائياً من المجال السياسي للمنطقة فقط, بل يؤدي إلى مقاومة الهيمنة المُحتملة للولايات المتحدة الأمريكية هناك, وكانت هاتان المهمتان تتجاوبان كلياً مع مصالح الاتحاد السوفيتي, ولربما أن أكثر ما يثبت مبدئياً مصلحة الاتحاد السوفيتي حيال المملكة العربية السعودية، في فترة النصف الثاني من الخمسينيات، وبداية الستينيات أنهم بدأوا في العاصمة السوفيتية بعد الأعوام الطويلة التي اعقبت توقف العلاقات الدبلوماسية السوفيتية السعودية في أواخر الثلاثينيات, يؤكدون على ان المملكة العربية السعودية بلادٌ ترتبط مع الاتحاد السوفيتي بعلاقات دبلوماسية, وجاء في مذكرة وزارة الخارجية السوفيتية (بوصفها وثيقة سرية وقعها اندريه غروميكو وزير الخارجية آنذاك) المُعنونة بـ(حول البلدان الذي أقام الاتحاد السوفيتي علاقات دبلوماسية معها): أنه لا توجد بموسكو بعثات دبلوماسية لـ17 بلداً أقامَ الاتحاد السوفيتي علاقات دبلوماسية معها، وذكرت في مقدمتها المملكة العربية السعودية, وقد أشارت الوثيقة المذكورة أيضاً إلى أن الاتحاد السوفيتي لا توجد لديه بعثات دبلوماسية في عشر بلدان, وتأتي المملكة العربية السعودية في هذا الكشفِ ايضاً, وقد تضمنت الوثيقة

المذكورة كشفاً وافياً للبلدان التي أقام الاتحاد السوفيتي علاقات دبلوماسية معها حتى تاريخ 15 يناير عام 1962، وشغلت المملكة العربية السعودية في هذا الكشف الأخير المرتبة الخامسة(29).

وعلى الرغم من عمومية نتائج كشوفات هذه الوثيقة التي تشملُ بلداناً أخرى غير المملكة العربية السعودية، إلا أنها تكشف عن حقيقة عناية القيادة السوفيتية للشرق الأوسط عامة والمملكة العربية السعودية خاصةً؛ فهي تتعامل مع المسألة بدقة الأرقام لتوضح الخطوط العامة للعلاقات السوفيتية السعودية عبر التاريخ، وتسجل التطور الملحوظ الذي حصل في ستينيات القرن العشرين إبان عهد الملك سعود حين حصلت انفراجة ملحوظة في أزمة العلاقة بين السياستين السوفيتية والسعودية, وهو الأمر الذي أحدثَ تقارباً ملحوظاً في المصالح والرؤى والمبادئ لكلا الخطابين السياسيين.

ان ذكر المملكة العربية السعودية في الوثيقة السابقة والمَرتبة التي شغلتها في كشف البلدان المذكور قد دلّ_حتى في الوضع الذي لم تكن فيه علاقات دبلوماسية بين البلدين_ على اهتمام القيادة السوفيتية فعلاً في إقامة اتصالات مع دولة إقليمية تُمارسُ دوراً كبيراً في العلاقات الاقتصادية على مستوى الشرق الأوسط وبلدان العالم العربي, وقد اصبحت هذه الاتصالات امراً واقعاً في مطلع الستينيات، واخذت تتطور شيئًا فشيئًا لا في المجال السياسي فحسب؛ بل في المجال الديني ايضاً فقد كانت إحدى النتائج المُباشرة لفترة الدفء السوفيتية استئناف رحلات المسلمين السوفيت؛ لأداء فريضة الحج إلى الأماكن المُقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهي ظاهرةٌ جديدة في مجال العلاقات مع الدول الإسلامية حين صار المسلمون السوفيت يزورون المملكة العربية السعودية، بعد أن سمحت السلطات في عام 1945 لأول مجموعة من المسلمين السوفيت لأداء فريضة الحج, وقد بلغت هذه العلاقات ذروتُها في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات(30).

إن الاتجاهات الجديدة في السياسة الخارجية السوفيتية المُرتبطة بمنطقة آسيا وأفريقيا، والتي تجسدت في السعي إلى توسيع دائرة العلاقات السوفيتية في هذه المنطقة قد أرغمت القيادة السوفيتية في فترة الدفء على أن تنظر إلى الامةِ الاسلامية السوفيتية بصفتِها إحدى القنوات المهمة لتنفيذ هذا الاتجاه, ومن وجهة نظر أخرى فإن إمكانية إقامة علاقات مباشرة سوفيتية سعودية تقتضي اهتمام السلطات السوفيتية بإمكانيات هذه الأمة اهتماماً كبيراً, وكان المقصود من ذلك إعادة الوضع الذي كان قائماً في العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن الماضي, حين رأت القيادة السوفيتية أن من الضروري تطوير العلاقات مع سلطنة نجد ومملكة الحجاز ومُلحقاتها, والارتكاز على عامل مهم بالنسبة للملك عبدالعزيز آنذاك، وهو وجود عدد كبير من المسلمين في الاتحاد السوفيتي(31).

لقد حاول السوفيت استغلال الورقة الدينية (استئناف رحلات الحج إلى المملكة العربية السعودية) لصالح ترميم العلاقات السياسية مع المملكة العربية السعودية وتقويتِها, وعلى الرغم مما قد يُفهم من وجود تناقض في كلامنا هذا؛ ينتجُ من طبيعة العقيدة السوفيتية التي تتقاطع مع العقيدة الإسلامية، فكيف والحال هذه توظف

السلطات السوفيتية آنذاك الملف الديني لصالحِ الملف السياسي, ولعل الإجابة الشافية لهذا التساؤل تكمُنُ في أن السياسة عمياء وأن المصالح السياسية الخارجية لقوى كالاتحاد السوفيتي، تقتضي تطويع كل الامكانات السياسية والاجتماعية والدينية لتحقيق الهدف السياسي الذي يضمن للاتحاد السوفيتي بقاءهُ بوصفهِ قوةً خارجيةً تتحكمُ بالمنطقة.

وفي الحقيقة فأن الأهداف غير المُعلنة التي تختبئُ تحت السطور تكشفُ عن نوايا أخرى، من فتح قناة الاتصال الديني بالمملكة العربية السعودية, فالاتحاد السوفيتي أراد أن يُبرهنَ من خلال رحلات الحج على أن المُسلمين السوفيت، من جانب لا يُعانون من أية قيود من وجهة نظر العقيدة الدينية، وهذا بطبيعة الحال يتناغم مع العقيدة السعودية, ومن جانب آخر أن يظهر للمسلمين، ولاسيما النُخب السياسية في البُلدان الإسلامية، ومنها المملكة العربية السعودية جدية التغيُرات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي اصبحت شيئا واقعاً في حياة الاتحاد السوفيتي, او بعبارة أخرى أن الاتحاد السوفيتي يرى أن من واجب المسلمين السوفيت لدى توجههم للحج أن يقوموا بالدعاية إلى طراز الحياة السوفيتية، وسياسة بلادهم الداخلية والخارجية, غير أن المقصود لم يكن مُقتصراً على التأثير الاستعراضي الموجه نحو العالم الخارجي, بل بالقدرِ نفسهِ التأثير بالمسلمين السوفيت أنفُسهم، بإظهار أفضليات طراز الحياة السوفيتية، وأهمية التحولات التي طرأت على الوسط الإسلامي السوفيتي، واخيراً فإن من واجب الحج أن يُعالج مَهمة أخرى للسياسة السوفيتية، وهي ان يُظهر للمسلمين السوفيت الأهمية العالمية لخبرة التحديث السوفيتية, وكان مثال مصر في فترة حكم جمال عبدالناصر, في هذا المجال أحد الأدلة على تأثير هذا التحديث في العالم الإسلامي[32].

وقد اظهرت الوثائق الرسمية السوفيتية جدية النوايا الرامية إلى الانتفاع من حملات الحج، واستغلالها لصالح تحقيق أهداف السياسة الخارجية السوفيتية، ومحاولة بناء علاقات جديدة مع المملكة العربية السعودية؛ بغية ضرب المُنافس الإمبريالي الأمريكي, ومن ذلك وثيقة التوصيات الصادرة بتاريخ 1959، والموقعة آنذاك من الكسندر بوزين رئيس مجلس شؤون الأديان التابع لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتي (توصيات إلى الحجاج المسلمين من رعايا الاتحاد السوفيتي المُسافرين للحج), وتُعد من الوثائق البارزة التي تُجسد مواقف القيادة السوفيتية من قضايا الحج, ويُوصي نص الوثيقة الحُجاج السوفيت بأن يتذكروا بأنهم قبل كل شيء من رعايا الاتحاد السوفيتي, ويجب عليهم أن يسترشدوا في جميع أفعالهم وأقوالهم في الخارج بمصالح وطنهم، وعدم السماح بأية أفعال يُمكن أن تحُطَّ من كرامة المواطنين السوفيت ووطنهم, كما يجب عليهم في تلك الحالات حين يرون أن أخوتهم في الدين، من غير دول الاتحاد السوفيتي لديهم تصورات خاطئة حول وضع الدين، ولاسيما الاسلام وحياة المسلمين في الاتحاد السوفيتي، واتخاذ كافة التدابير من أجل إزالة هذه التصورات والتحدُّث عن الحقيقة حول حياة المسلمين في الاتحاد السوفيتي[33].

وكان هذا يعني بدورهِ أن مهمة الحجاج تقتضي منهم ممارسة الدور الذي كُلِّفوا بهِ، بوصفهم دُعاةً تتمثل مهمتهم في إجراء مُحادثات في كل فرصة ممكنة، مع المسلمين من البلدان الأخرى حول إنجازات الشعب

السوفيتي، وبكافة مجالات الحياة, وحول التغيُرات التي جرت في حياة مُسلمي الاتحاد السوفيتي، ووحدة وتلاحم السوفيتيين، وحرية أداء الشعائر الدينية، والتمسك بالعادات القومية, وفي هذا السياق يجب أن يتم تعريف الأخوَّة بالدين، بوضع السلام في الاتحاد السوفيتي وارتفاع مستوى معيشة الناس, وكان واجبهم أن يتحدثوا عن حرية الضمير الحقة، وحرية أداء الشعائر الدينية, وعدم مُلاحقة الأشخاص بسبب مُعتقداتهم الدينية, وأن رجال الدين المسلمين يُمارسون جميع الفروض الدينية بموجب أحكام الشريعة, وقد حددت هذه التوصيات الموضوع الرئيس لأحاديث الحجاج مع أبناء البلدان الأخرى, وهو قضية السلام ووجوب النضال في سبيل توطيد السلام والصداقة بين الشعوب(34).

وفي الحقيقة أن القيادة السوفيتية كانت تعتبر إرسال مجموعات الحجاج السوفيت إلى الأماكن المقدسة بمثابة وفود تسافر رسمياً إلى خارج الاتحاد السوفيتي، تُناطُ بها مهامٌ مُعينة، في جوهر الأمر، تتولى الدوائر المعنية تحديد هذه المهام, ولذا كان يجب على هذه الوفود من الحجاج أن تُنسق أفعالها بصورة تامة مع موظفي البعثات الدبلوماسية السوفيتية, واخيراً فإنه من مبادئ الاتحاد السوفيتي أن يكون الدين مُنفصلاً عن الدولة, ومن هنا كان الحاج في نظر السُلطة يُعتبر داعيةً لنمط الحياة السوفيتية خارج وطنهِ.

وكان من أهم نتائج هذه البعثات الدينية المُسيسة الثمار التي أتت أُكلها بعد لقاءات الحجاج في المملكة العربية السعودية، ما اكدهُ المسؤولون في مجلس شؤون الأديان، من أن اللقاءات بين مسلمي الاتحاد والحجاج من البلدان الأخرى قد ساعد على تبديد الدعاية الافترائية بشأن تحريم الدين الاسلامي في الاتحاد السوفيتي, وقد تجسَّد ذلك ضمناً في أن مشاركة المسلمين في الحج قد أضعف نشاط المنظمات القومية للمهاجرين البيض, وقد أرغمت هذه النتائج المسؤولين على الحديث عن جدوى مواصلة عقد المؤتمرات الصحفية في البلدان التي يزورها الحجاج، وهي مؤتمرات يتحدث فيها رجال الدين المسلمين السوفيت بعد أن تُعطى إليهم هذه الأحاديث عبر الإذاعة الموجهة إلى الخارج، وتطبع مقالاتهم التي يدور مُعظمها حول موضوع (حرية اعتناق الإسلام في الاتحاد السوفيتي), وهكذا ادخلت القيادة السوفيتية الحج ضمن نشاطها في مجال السياسة الخارجية, كما سعت إلى اكساب حج المسلمين طابع مشروع: (تجاري دولي) يتم على حساب الحجاج من مواطني الاتحاد السوفيتي أنفُسهم, وهذه المبادرة لن تنجح الا في حالة موافقة القيادة السعودية على تنفيذها، بينما لم تصبح هذه الموافقة امراً واقعاً الا بشرط وجود علاقات سياسية بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية(35).

وقد تضمن سياق العلاقات السوفيتية مع الدول الإسلامية في فترة الدفء السوفيتي جانباً آخراً، لا يقلُّ أهمية عمّا جرى سابقاً، يتمثل بنشاط قيادات الدوائر الدينية الإسلامية، وفي مقدمتها الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الصغرى وكازاخستان، برئاسة المُفتي (ضياء الدين بابا خانوف)(36), في (طشقند), وكانت هناك مبررات تدعو إلى تركيز الاهتمام على هذه الإدارة الدينية من قبل الاتحاد السوفيتي؛ لما تتمتع به من أهمية بالغة بالمقارنة مع الإدارات الدينية الأخرى التي توصف بأنها مغلقة، كالإدارة الدينية لمسلمي ما وراء القوقاز, وقد توفرت لمعظم الإدارات الدينية السوفيتية الفرصة لإقامة اتصالات مع النُخبة الدينية في المملكة العربية السعودية, وكذلك مع

موظفي وزارة الخارجية السعودية, لكن اتصالات النُخبة الإسلامية السوفيتية على صعيد السياسة الخارجية لم تكُن بمُبادرةٍ منها؛ إذ كان مجلس شؤون الأديان يفرضُ رقابةً صارمةً, ومن ذلك الحصول على رخصة القيام بتلك الاتصالات, ومن أهم الوثائق التي تكشُف عن ذلك في تلك الفترة, أنه في نوفمبر عام 1957 شارك المُفتي (ضياء الدين بابا خانوف) وبتوصيةٍ من مجلس شؤون الأديان في الاتحاد السوفيتي في المؤتمر العالمي لجميع الأديان الذي عُقد في دلهي تحت رعاية الحكومة الهندية, وقد شارك فيه وفدٌ سعودي, وجاء في تقرير الادارة الدينية لمُسلمي كازاخستان وآسيا الوسطى المقدم إلى مجلس شؤون الأديان أن أهم عنصر في تلك الرحلة، كان تسليم (نص نداء إلى مُسلمي العالم أجمع حول قضية حظر انتاج السلاح النووي) إلى المؤتَمِرين، وكان الهدف من تسليمهِ إلى المندوبين في المؤتمر هو في الحقيقة يصبُ في هدفٍ مركزي يتمثل بنشر هذا النداء في الصُحف المحلية والعالمية(37).

لقد اصبحت النُخبة الإسلامية السوفيتية من أهم قنوات التعامل بين قيادة البلاد والمؤسسة الحاكمة السعودية, لكن هذه النخبة كانت على الرغم من دعمها لمبادرة السلطات السوفيتية تستهدفُ معالجة مهامها الخاصة المتعلقة بزيادة عدد أئمة المساجد المتعلمين، وكذلك توسيع مجال تعاملها مع العالم الإسلامي الخارجي الذي مارست فيه المملكة العربية السعودية دوراً رئيساً, وفي 12 اغسطس عام 1964 وجهت إلى الإدارة المركزية لمجلس شؤون الأديان بموسكو عبر ممثليها في (طشقند) رسالة إلى المفتي (ضياء الدين بابا خانوف) رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان، تضمنت طلب إرسال عدد من الطلاب للدراسة في المدينة المنورة، وجاء في الرسالة أنه يرفق بها مشروع رسالة المفتي بابا خانوف إلى الملك سعود بن عبد العزيز ورئيس الوزراء فيصل بن عبد العزيز ويطلب دراسة هذا المشروع والإبلاغ عمّا إذا كان مُناسباً(38).

وكان نص مشروع رئيس الإدارة الدينية في (طشقند) جديراً بالعناية والاستفادة من مُقتطفاتهِ, فقد كتب المفتي (ضياء الدين بابا خانوف) بعد التحية الإسلامية التقليدية: ((إنني ابتهلُ إلى العلي القدير ان يمنحكم الصحة والخير, ونحن مُسلمي الاتحاد السوفيتي نتابع دوماً عبر الصحافة والحجاج من الاتحاد السوفيتي التطور الثقافي والديني في الأماكن المُقدسة من أجل المسلمين برعاية آل سعود, ونتمنى من أعماق النفس لها، أي المملكة العربية السعودية، ولقادتِها النجاحات الكبيرة في عملهم النبيل))(39).

وبفضل قناة التواصل الإسلامية السوفيتية أصبح من الممكن _للتعامل مع المملكة العربية السعودية_ قيام العلماء والفقهاء السعوديين بزيارة الاتحاد السوفيتي, وتشير وثيقة واحدة بهذا الخصوص إلى حصول ذلك فعلاً، ففي مطلع يناير عام 1957 اقترح المفتي (بابا خانوف) على الجهاز المركزي لمجلس شؤون الاديان دعوة اثنين من علماء الشريعة السعوديين لزيارة الاتحاد السوفيتي, وجاء في الوثيقة ان المقصود بهما هو كل من: الشيخ (عبدالمجيد نجوي) وهو عربي من رعايا المملكة العربية السعودية, والسيد (علاوي المكي النجدي) وهو عربي أيضاً من رعايا المملكة العربية السعودية, ويُذكر أن من بين المسوِّغات لهذه الدعوة بحسب أقوال المفتي هو أن (عبدالمجيد نجوي) كان شخصية دينيةً نشطةً، تتمتع بمكانةٍ مرموقةٍ, في حين كان السيد (علاوي المكي) يُعامل

الحجاج من الاتحاد السوفيتي مُعاملةً طيبة, وثمة أمر مهم آخر ورد في طلب بابا خانوف وهو ذكر لأسماء شخصيات مُرشحة لدعوتها إلى الاتحاد السوفيتي من سوريا والعراق، وهذا الأمر أثبت الأهمية السياسية لمبادرة رئيس الإدارة الدينية في (طشقند)؛ إذ كان البلدان العربيان المذكوران يُقيمان آنذاك علاقات سياسية وثيقة مع الاتحاد السوفيتي, بينما كانت المملكة العربية السعودية بعيدة عن إقامة مثل هذا المستوى الرفيع للعلاقات الثنائية مع الاتحاد السوفيتي, لكن البُعد الإسلامي في التعامل بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية لم يدم طويلاً وانتهى مع اختتامِ فترة الدفء السوفيتية, وكانت إحدى المؤشرات الخطيرة على انتهائها بدء حملة جديدة من قبل السلطات السوفيتية ضد الهيئات الدينية في داخل الاتحاد السوفيتي، ومنها الهيئات الإسلامية, فضلاً عن أن إقصاء (خروشوف) عن مناصبه في الحزب والدولة في أكتوبر عام 1964، ومجيئ الملك (فيصل بن عبدالعزيز) إلى سدة الحكم في المملكة العربية السعودية جعل هذا البعد في طيات الماضي.

ومما تقدم يمكن لنا أن نستنتج أن احتمالات التقارب بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية، في عهد الملك سعود بن عبد العزيز ظلت باردة ضيقة، على الرغم من وجود قنوات تواصل سياسية ودينية, إلا أن البِنية الآيديولوجية السياسية التي ينهضُ عليها النظامان السياسيان السوفيتي والسعودي تتسِمُ بالتناقض والتنافر, فالسياسة الخارجية للسعودية تقترب من الليبرالية الأمريكية، وتتبنى أفكارها مع المُحافظة على الأرضية الدينية التي تنطلقُ منها, بوصفها الراعي الرسمي لأهم بقعة في العالم الإسلامي، وهي مكة المكرمة والمدينة المنورة, في حين أن الاتحاد السوفيتي يؤسس خطابهُ على البُعد الإلحادي، ويُحاول إشاعة فكرة مُحاربة المبادئ الإمبريالية الأمريكية وتحطيم مجاديفها، وإحلالِ الفكر الشيوعي بدلاً عنها, الأمر الذي يُقلص من إمكانية ارتفاع نسبة وجود اتصالات إيجابية، تقوي أواصر العلاقة بين السعودية والاتحاد السوفيتي كما هو الحال بين السعودية والولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الثالث

التباعد السوفيتي السعودي

قراءة في الواقع والمُسبّبات

على الرغمِ مما شاع في مناخات العلاقات الدولية من ملامح تقارب بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية إلا ان حضور معوقات التقارب كان حضوراً مؤثراً جعلَ سياستي الدولتين كقطبي السالب والموجب مما ادى إلى حصول نقاط تنافر بينهما على امتداد خط العلاقة الذي امتدَ بين الطرفين.

وقد كانت أهم سمة ميزت السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين (علماً أنها كانت صفةً مُلازمةً لها حتى انهيار الدولة العظمى السابقة) هي التأثير الكبير الذي مارستهُ هذه الدولة أو تلك، من الدول الإقليمية في تطورِها في مختلف فترات التعامل مع الاتحاد السوفيتي، وليس المقصود أن الاتحاد السوفيتي قد أخذ على عاتقهِ عند اتباع سياستهِ في الشرق الأوسط التزامات مُعينة (بحُكم الأسباب الآيديولوجية مثلاً) حيال إحدى الدول، في منظومة العلاقات الدولية في الشرق الأوسط، كما جرى على سبيل

المثال في مجال الاتصالات الأمريكية الإسرائيلية، ولم توجد في هذه المنطقة دولة واحدة لم يرتبط الاتحاد السوفيتي معها، بأواصر الالتزام التام بهذه العقيدة الدينية أو الفكرية أو تلك, إذ لم يعُد في العاصمة السوفيتية، أي واحدٍ من حُلفاء الاتحاد السوفيتي في المنطقة في فترة الخمسينيات والستينيات وما تلاها، بكونهِ من أنصار العقيدة الماركسية, اللينينية (البروليتارية) بصورةٍ مُطلقة, وقد ولّدَ هذا الأمر كثيراً من العواقب المهمة، لكنها ليست كبيرة بالقدرِ ذاتهِ، وهذا يتضحُ في رأي أحد الدبلوماسيين السوفيت المعروفين، وهو (الكسندر بيلونوجوف) الذي شغل سابقاً مندوب الاتحاد السوفيتي الدائم في هيئة الامم المتحدة، وكان أحد نواب (ادوارد شيفا ردنا دزة) وزير الخارجية السوفيتي في تلك الفترة, وكتب بيلونوجوف يقول: ((مهما بدت الأمور غريبة فإن الانقلاب العسكري الذي حدث بقيادة جمال عبدالناصر في يوليو عام 1952م لم يفتح فوراً صفحةً جديدةً في العلاقات بين القاهرةِ وموسكو؛ إذ بقيت هذه العلاقات باردة وضيقة نوعاً ما، حتى عام 1956م))[40].

إن أقوال الدبلوماسي السوفيتي هذه تتمتع بأهمية خاصة إذ تُشير إلى الجمود الحاصل في وجهة النظر السوفيتية تجاه الأحداث الجارية على الصعيد الإقليمي العربي، والشرق أوسطي إذ نُظِرَ إليها عبر عدسة ضيقة هي دعم الحركة الشيوعية المحلية حصراً، ولم تأخذ العاصمة السوفيتية بنظر الاعتبار الدوافع الأخرى لمُمثلي الجيل الجديد من النُخبة السياسية في العالم العربي، كالروح الوطنية والنزعة القومية العربية، بوصفها مسوغات كافية لإقامة أسس جديدة للعلاقات المُتبادلة على الصعيدين الإقليمي والدولي؛ لأن هذا يتطلب تجاوز العقبة الكؤود التي تتمثل بعدم التعاطف مع الاشتراكية السوفيتية، وهذا الأمر يُتيح لنا التوصل إلى الاستنتاج المهم الآتي: إذا مارست هذه العقبة دوراً مهماً لدى مصر حتى في عهد الدفء السوفيتي الذي تجسد في السعي لإعادة النظر في أسس العلاقات مع بُلدان آسيا وأفريقيا عموماً، بإحياء المبادئ الأساسية للتراث اللينيني فإنها تُشكل العقبةَ ذاتها التي تخلُقُ صعوباتٍ جمة، تقفُ عائقاً أمام احتمال إقامة علاقات دبلوماسية مُباشرة بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية.

إن الربط بين تجربة مصر إبّان حقبة جمال عبدالناصر، وتجربة المملكة العربية السعودية في عهد الملك سعود، من لدن الباحثين السوفيت، يُسلطُ ضوءًا مهماً على نقاط التباعد بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية إذ أن المثال الذي أُستُشهد بهِ (مصر عبدالناصر) يُمثلُ وسيطاً دبلوماسياً قوياً في المشهد السياسي العربي للاتحاد السوفيتي؛ فإذا وقفت عقباتٌ امام امتداد الخط الدبلوماسي الموصِّل بين الاتحاد السوفيتي ومصر، فإن النتيجة الطبيعية ستكون عدم إمكانية مد جسور التواصل الدبلوماسي بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية؛ لأن علاقة الأخيرة بالسياسة السوفيتية ضيقة جداً بالمُقارنة مع مصر.

إن وجهة النظر السوفيتية التي تكشفُ عنها مُذكرات الدبلوماسي (بيلونوجوف) تُسلطُ الاضواء على نقاطٍ مركزية في العلاقات الدبلوماسية السوفيتية مع العالم العربي وتُحدد قِوى توجيه مسارات تلك العلاقات, فقد أشار في مذكراتهِ إلى بعض الصعوبات التي كانت تواجههُ أثناء عمله في العاصمة المصرية وهي صعوبات كانت

ترتبطُ بالسلطة السوفيتية وخِطابها المُسيس تجاه الشـــــــرق إذ كانت تنظرُ _بحسبِ قولهِ_ إلى ((الشـــــــرق الأوسط أساساً عِبر نظارات سورية)) [41].

ولا ريبَ في أن أقوال هذا الدبلوماسي السوفيتي الذي كان يعرفُ حق المعرفة كيف كانت تُتخذ القرارات في الاتحاد السوفيتي، في مجال السياسة الخارجية، وهي أقوالٌ تستحق العناية والاهتمام، فقد اعترف (بيلونوجوف) في مذكراته بأن وزارة الخارجية السوفيتية لم تكُن حُرةً في عملها, وأكد على أن مُبرراتِها وقراراتِها كانت تنبثقُ من وجهة نظر مراجعَ أعلى مقاماً من وزارة الخارجية السوفيتية, أي من (القسم الدولي في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي) الذي كان يُحددُ نهج الوزارة حيال منطقة الشرق الأوسط, علماً أن هذا ما كان يُحدِّد الخصوصية المهمة للسياسة الخارجية السوفيتية في منطقة الشرق الأوسط والعالم العربي, أي أن نهجها كان طوال وجود الدولة العُظمى السابقة يوجد تحت التأثير القوي لحلفائها في المنطقة, ولأن تمثل ذلك قبل عهد الدفء في تأثير الأحزاب والحركات الشيوعية في الشرق الأوسط, فإنهُ تمثل في فترة حكم (نيكيتا خروشوف) في زعماء العالم العربي الذين حلُّوا محل الشيوعيين, وبدأ المسؤولون في العاصمة السوفيتية ينظرون اليهم بصفتهم المُعبرين عن آمالِ حركة التحرر الوطني العربية وتطلُعاتها، وكان من الطبيعي أن يسود الاعتقاد في فترة النصف الثاني من الخمسينيات ومطلع الستينيات، بأن من يُعبِّر عنها هو جمال عبدالناصر، وليس غيره من القادة العرب، ومنهم الملك سعود بن عبدالعزيز, آخذين بنظر الاعتبار العلاقات السوفيتية المصرية بعد العدوان الثلاثي عام 1956م[42].

وبعد عام 1956م اكتسب قيام مصر بعرقلة محاولات الاتحاد السوفيتي الرامية إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع المملكة العربية السعودية طابعاً واضحاً وبارزاً؛ إذ ارتبط هذا الوضع بتحرك مصر في عهد جمال عبدالناصر بشكلٍ جلي نحو توسيع نفوذها في العالم العربي والشرق الأوسط، من أجل أن تتحول إلى مركز قوة قيادي في هذا المجال الإقليمي، وقد وجدت لذلك أسبابا موضوعية وذاتية، تأتي في مقدمتها الخصال الشخصية لجمال عبدالناصر نفسهُ، وما كانت هذه الخصال لتبرز واقعياً لو لم تنشأ ظروفٌ إقليمية ودولية مُعينة بعد العدوان الثلاثي, وكان أحد هذه الظروف نجاح الرئيس المصري جمال عبدالناصر نجاحاً باهراً في توجيه ضربة قوية إلى مواقع دولتين من خارج المنطقة، كانتا تتمتعان سابقاً بالسيطرة الكاملة هناك، وهما بريطانيا وفرنسا, إذ حصل على الدعم غير المشروط في المواجهةِ معهما، من قبل الاتحاد السوفيتي, كما تنامت مكانة جمال عبدالناصر في العالم العربي، واقترن ذلك بالإدانة الأكيدة لإسرائيل الصهيونية[43]، بصفتها حليفة الدولتين الإمبرياليتين الأوربيتين, كما أن الوحدة بين مصر وسوريا المُتمثلة بالجمهورية العربية المُتحدة قد منحت الرئيس المصري في ذلك الوقت هالة نصير فكرة (الوحدة العربية) وتطبيقها، وهي الفكرة القائمة على أساس مواجهة الإمبريالية الغربية والصهيونية الاسرائيلية، وحُلفائها الذين يوصفون عادةً بالرجعية العربية, فضلاً عن أن وجود الجمهورية العربية المُتحدة قد خلق الظروف من أجل بدء عملية استقطاب واسعة وتفاضُلية في العالم العربي؛ إذ ظهر معسكران لنظامين أحدهما (تقدمي)، والآخر (مُحافظ) علماً أن تحديد الأنظمة التقدمية نفسها،

وكذلك الأنظمة المُحافظة طبعاً كان يتم على أساس موقفها من الكيان السياسي المصري السوري الموحد, مع احتمال انضمام بلدان أخرى إلى الجمهورية العربية المُتحدة آنذاك, زد على ذلك أن تشكيلة القطبين الأعظم الذي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية، في منظومة العلاقات الدولية في النصف الثاني من الخمسينيات قد أصبحت مُتبلورة بدقة أكبر، وقد رسخت التشكيلة الثنائية القُطب التي أثَّرت في وضع الشرق الأوسط، بقدرٍ كبير وجود مُعسكري الأنظمة التقدمية والمُحافظة فيه, وقد اكتسب هذا الوضع طابع عملية بارزة المعالم بعد عام 1956م، حين نشّطت الولايات المتحدة الأمريكية سعيها لنشر (مبدأ إيزن هاور)[44], في الشرق الأوسط، وتكوين منظومة قيادة الشرق الأوسط بغية إقامة حاجز أمام انتشار الشيوعية السوفيتية, وفي الوقتِ ذاتهِ المُساعدة في إقامة علاقات عربية إسرائيلية مباشرة، وأعقب ذلك رفض الولايات المتحدة الأمريكية تزويد مصر بالسلاح, وكذلك رفضها تمويل بناء السد العالي, مما ساعد على توسيع العلاقات المصرية السوفيتية وتعميقها, وبينما كانت مصر تتحول شيئًا فشيئًا إلى حليف للاتحاد السوفيتي, حافظت المملكة العربية السعودية على المستوى الرفيع للعلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية, وبدأ الاتحاد السوفيتي يعتبر المملكة العربية السعودية دولة رجعية موالية للإمبريالية[45].

ان العناصر المتنافرة في المعادلة الدبلوماسية الخارجية، للأقطاب المتنافسة في الشرق الأوسط، كانت في الحقيقة العقبة العصية على التذويب التي حالت دون مد جسور التواصل الايجابي، بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية؛ وذلك راجعٌ في الأساس إلى الآيديولوجيات السياسية التي تُبنى عليها سياسات القُطبين المُتنافرين في الشرق الأوسط والعالم العربي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي, والتزام القطب الأول بالمبادئ الإمبريالية والآخر بالمبادئ الشيوعية, وقد نتج عن هذا التنافر بين القوى الخارجية تنافرٌ على مستوى المناخ الداخلي للعالم العربي؛ إذ تصارعت قوتان، هما مصر والمملكة العربية السعودية على الاستحواذ على موضع الصدارة في الهيمنة على قيادة العالم العربي, وكانت هذه التصادمات من اهم الاسباب التي وقفت عقبةً امام التقارب السوفيتي السعودي.

لقد حاول الاتحاد السوفيتي بالاعتماد على جمال عبدالناصر مُعالجة قضية مهمة جداً بالنسبة للسياسة الخارجية له وهي اقامة علاقات مع المملكة العربية السعودية من خلال الاستفادة من الامكانيات التي انبثقت نتيجةً: للعدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر وقد استمرت بهذا الصدد في موسكو وجهة النظر القائلة ان السياسة السعودية التي تأثرت بالنفوذ القوي لشخصية جمال عبدالناصر في العالم العربي يمكن ان تتطور باتجاه الابتعاد عن الولايات المتحدة الأمريكية, وفي الوقت نفسه لم تُستثنَ في العاصمة السوفيتية احتمالات حدوث تغيرات جذرية في الوضع الداخلي للمملكة العربية السعودية[46].

وفي ضوء هذه المحاولات السوفيتية تتجلى ملامح من احتمالات تقارب بين الاتحاد السوفيتي والمملكة، إلا أن الواقع السياسي فرض جدلاً حاداً بين الأطراف المُتنافسة وأدَّى بالاتحاد السوفيتي إلى أن يشعر بأهمية المملكة العربية السعودية في العالم العربي، من خلال عناية الولايات المتحدة الأمريكية بها، ومحاولة تصديرها على أنها

مركز من مراكز القوى المتحكمة في العالم العربي, ولأن المبادئ والتوجهات والآيديولوجيات والخطابات السياسية بين الاتحاد السوفيتي والمملكة متباينة، بل متنافرة؛ فإن النتيجة الطبيعية لذلك هو حصول تباعد بين الطرفين، وكانت العلاقة طردية فكلما اقتربت المملكة العربية السعودية من الولايات المتحدة الأمريكية ابتعدت في جانبٍ آخر من منطقة تحرك الاتحاد السوفيتي, ويبدو للباحث أن المغريات التي قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية للملكة العربية السعودية، كانت ثمينة جداً، ولعل أهمها فيما نرى الابقاء على هيكلية النظام الداخلي للمملكة مقابل فتح أبواب الثروات النفطية أمام الشركات الأمريكية، وإطلاق يد المملكة العربية السعودية للتدخل في القضايا العربية السياسية الكبرى، والظهور على الساحة السياسية، إلى جانبها دائماً، بوصفها الحليف الأقوى للنظام السعودي آنذاك, وهذا قد أنتج لنا سياسةً خارجيةً مدعومةً بالولايات المتحدة الأمريكية، كانت وما زالت تتدخل في التحولات والتقلبات السياسية الحاصلة في جميع أنظمة الحكم في العالم العربي.

وقد جانب بعض الدارسين الصواب حين رأى أن البلاد السعودية قد حافظت منذ عهد مؤسسيها على حيادها, ووازنت ذلك الحياد في الوقت نفسه، فيما يختص بالصراع الكوني بين العملاقين (امريكا وروسيا)، واستطاعت أن تجنِ ثمار حيادها، كما لم تجنِ ذلك أية دولة أخرى، عربية كانت أو أجنبية، ولم تدخل المملكة العربية السعودية في أحلاف، ولم تربط نفسها بأي التزام نحو اي طرف من الاطراف المتصارعة(47).

تتصاعد من بين طيات هذا النص المُبالغة التي لا تخفى على مُطلع، ولاسيما في الرأي القائل بحياد المملكة العربية السعودية, فقد اثبتت دراسات مترجمة كثيرة، وبالوثائق، زيف هذا الرأي فقد جاء في الدليل الاقليمي أن المملكة العربية السعودية تتكل منذُ تأسيسها في المجال العسكري على الولايات المتحدة أساساً, وأن الضباط السعوديين يدرسون في المدارس والأكاديميات الحربية الأمريكية, وان الولايات المتحدة هي حليفٌ للسعودية، وتشرف على عداد القوات البرية والجوية والبحرية, وقد بلغت نفقات القوات المسلحة السعودية بتشجيع من واشنطن أحجاما خيالية، وغدت السعودية الزبون الأول في العالم لشراء السلاح الأمريكي, وان القوات المسلحة السعودية القليلة العدد نسبياً لم تكن في الواقع قادرةً على هضم السلاح الذي اشترتهُ, ولا على استخدام الهياكل الارتكازية بشكلٍ فعال, وكتبت: (الواشنطون بوست), تقول أن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت على حساب المملكة العربية السعودية في الواقع بتشييد قواعد احتياطية في أراضيها، مُجهزةً بكل ما يتطلَّبه استخدامها فيما بعد من قبل القوات الأمريكية, وبالفعل فإن الرادارات المُجنحة الخمسة من طراز (أواكس) وسائر الآليات الحربية التي اشترتها المملكة العربية السعودية من الولايات المتحدة الأمريكية، ظلت تحت إشرافٍ أمريكي أمداً طويلاً, وتقرر أن تكون تلك الرادارات المجنحة من أهم عناصر الدفاع الجوي، عن منطقة تشمل الكويت والإمارات العربية المتحدة وعُمان والبحرين وقطر إلى جانب المملكة العربية السعودية, وأُعدت محطات الرقابة الإلكترونية التي يتلخص هدفها الحقيقي في تحويلها إلى مركز عصبي إقليمي لقوات الانتشار السريع الأمريكية, وجمعت الولايات المتحدة في القواعد الاحتياطية التي شيدتها في المملكة العربية السعودية آليات حربية وذخيرة

ووفوداً وأغذيةً, وبِذا اعدت مسبقاً الوسائل الفنية الحربية والهياكل الارتكازية والمستودعات، وكُلُ ما استخدم بفاعلية فيما بعد لانتشار القوات المسلحة الأمريكية, وقوات حلفائها إبان الحرب ضد العراق عام 1991م(48).

وهذا يؤكد العلاقة القوية التي تربط المملكة العربية السعودية بالولايات المتحدة الأمريكية، في جانبٍ من الجوانب، وهو الجانب العسكري الدفاعي، وهذه الحقائق تُفند نظرية الحياد التي يدعيها النص السابق, وهو _فيما يخص موضوع هذا المبحث_ من أهم العقبات التي وقفت حاجزاً صُلباً منعَ ولادة إمكانات للتقارب بين السياسة السوفيتية والسياسة والسعودية.

وعلى الرغمِ من وجود مظاهر التباعُد بين السياستين الخارجيتين إلا أن محاولات الاتحاد السوفيتي لخلق آفاق جديدة للاتصال بالمملكة العربية السعودية سواء أكان على المستوى المُعلن أم على المستوى السري مازالت مُستمرة في عهد الملك سعود, وقد كشف السوفيت عن أحد الأسباب المهمة التي أرغمت القيادة السوفيتية على طلب وساطة جمال عبدالناصر، في حل المشاكل المُتعلقة بإقامة صِلات سوفيتية سعودية كان وجود المخاوف الجليَّة لدى الملك سعود بن عبدالعزيز، حول احتمال تغلغل الأفكار الشيوعية في بلادهِ، والمُمارسات القائمة على أساسها في قطاع العمل، وقد كانت هذه المخاوف حاضرة على أرض الواقع، ومُتجلية أمام العاهل السعودي، ولاسيما في النصف الأول من الخمسينيات؛ إذ سعى الاتحاد السوفيتي لإقامة علاقات مع المعارضة الداخلية السعودية، حين قامت أجهزة الاستخبارات السوفيتية باستخدام بيروت قناةً للاتصال آنذاك، مع قادة الاضرابات في حقول شركة آرامكو(49)، في المنطقة الشرقية السعودية الذين كانوا يمثلون جبهة الإصلاح الوطني السرية(50).

وبالفعل تأثر الحِراك العُمالي في المملكة العربية السعودية، منذُ الأربعينيات بالحركات الثورية المُتمردة والمُتأثرة بالأفكار الشيوعية, وجرى أول إضراب لعمال آرامكو عام 1945م، وقد قدمت الإدارة تنازلات وقتية؛ إذ ضمنت أن يكون العمل ثماني ساعات يومياً، وستة ايام في الأسبوع, وقد اصدرت الحكومة السعودية أزاء هذا الوضع في تشرين الأول عام 1947م قانون عمل، استخدمت عند وضعه التشريعات المصرية وحُدد اسبوع العمل بستة أيام, ويوم العمل بثماني ساعات في كل مؤسسة يزيدُ عدد العمال المأجورين فيها على العشرة, وعلى الرغم من هذه الإصلاحات الظاهرية إلا أن الإضرابات العُمَّالية لم تتوقف، خلال السنوات اللاحقة, إذ شكّل عمال آرامكو عام 1952م لجنةً، بمثابة نقابة، وبدأوا كفاحهم بحزم، وطالبوا بضمان حق التنظيم النقابي، وزيادة الأجور، وقطع دابر التمييز العنصري، وتوفير مساكن جديدة للعمال، واعتماد اللغة العربية في الأساس, وقد امتنعت إدارة آرامكو عن تنفيذ هذه المطالب, وأيدتها اللجنة الملكية الخاصة، واعتُقل 12 عضواً من اللجنة العمالية, وفي 17 تشرين الأول أكتوبر بدأ إضرابٌ شارك فيه زُهاء عشرين الف من العمال العرب في آرامكو, وأعرب سكان المنطقة الشرقية عن تعاطفهم مع المُضربين إذ إن الموقف من الأمريكيين وثرائهم، ونمط حياتهم كان موقفاً سلبياً أو عدائياً, وعلى ضوء هذا الإضراب أعلنت الأحكام العُرفية في حقول النفط، وأمرت الحكومة بنقل بضعة آلاف من الجنود، لكنهم _شأنهم شأن رجال الشرطة المحليين_ لم يتحمسوا لتنفيذ الأوامر القاضية

بالتحرك ضد المُضربين، وقد بلغ الوضع درجة من الخطورة حملت إدارة آرامكو على التفاوض مع اللجنة العمالية، والقبول بالكثير من مطالب المُضربين، ومن اهمها زيادة الأجور بنسبة 12-20%، وتزويد العمال بملابس العمل، والغذاء وتوفير وسائط النقل، وإطلاق سراح المعتقلين من أعضاء اللجنة، واعادتهم للعمل, لكن العمال لم يحصلوا على حق التنظيم النقابي، وانتهى الإضراب في الأول من تشرين الثاني نوفمبر(51).

وقد بدا أن الإضراب يعني بداية مرحلة جديدة نوعياً في الحركة العمالية في المملكة العربية السعودية, وبالفعل استمرت في السنوات الثلاث التالية المفاوضات بين ممثلي العمال والشركات، وتولت لجنة ملكية خاصة النظر في النزاع, لكن السعي للحيلولة دون وجود حركة عمالية منظمة كان القاسم المشترك بالنسبة للسلطات السعودية والشركات, وقد شكّلت آرامكو ما يُسمَّى بلجان الاتصال وكُلِّفت شكلياً بدراسة مطالب العمال لتفادي النزاعات, أما في الواقع فإنَّ هذه اللجان كانت تبحث عن العناصر المُريبة، وتُلاحق النُشطاء من العمال, وفي عام 1956م، حينما أدَّت الأحداث الثورية في مصر إلى تعاظُم الحركة المُناهضة للغرب في سائر البلدان العربية أصبحت المنطقة الشرقية المركز الطبيعي للتحركات الجماهيرية, وعندما وصل الملك سعود بن عبدالعزيز إلى الظهران في 9 تموز عام 1956م، استقبلتهُ مُظاهرةٌ جماهيرية رفعت شعارات مُناهضة للإمبريالية، وطالبت بإجلاء قاعدة الظهران العسكرية الامريكية(52)، وسلمت الملك مطالب العمال, وبعد مرور يومين في الحادي عشر من تموز أصدر الملك مرسوماً يمنع كُل الاضرابات والمظاهرات، ويوقع على المُخالف عقوبة الحجز لمدة لا تتجاوز الثلاث سنوات, وبدأت حملة اعتقال وتعذيب للعمال النُشطاء وفق قوائم أعدتها الأجهزة الخاصة لآرامكو, وفي 17 تموز أعلنت اللجنة المركزية للعمال العرب الإضراب العام, وكان من بين المطالب التي طرحتها الطليعة الواعية من العمال سَن الدستور وإجازة الأحزاب السياسية، والتنظيمات الوطنية، وتقنين حق التنظيم النقابي، والغاء المرسوم الملكي الذي حظَرَ الإضرابات، وإيقاف تدخل آرامكو في شؤون البلد الداخلية، وإجلاء القاعدة الأمريكية من الظهران، وإطلاق سراح المُعتقلين, ولأن جماهير العمال في الإحساء لم تكن قد بلغت مستوىً عاليا من الوعي السياسي الذي يؤهلها للدفاع عن مثل هذه المطالب؛ لذا فإن الإضراب لن يعطل عمل حقول النفط, وتم قمع العمال المُضربين، بوساطة بدو من هجر الأخوان، والحرس الشخصي لأمير المنطقة الشرقية المكون من العبيد والمُعتوقين, وقد اعتُقل مئات الأشخاص، وعُذبوا، وصدرت بحقهم أحكام بالحبس، ولمُددٍ مُتفاوتة, وهكذا كانت إضرابات عام 1956م آخر تحركٍ كبيرٍ تقوم بهِ البروليتاريا السعودية من الخمسينات وإلى التسعينات(53).

ولعل من نافلة القول أن الحراك العمالي السعودي في خمسينيات القرن العشرين يدلُ بصورةٍ غير مُباشرة على وجود يد للمخابرات السوفيتية في التأجيج والتنظيم، وهي محاولة لتضييق الخناق على الحكومة السعودية وجعلها تلجأ إلى الاتحاد السوفيتي لوضع حداً للاضطرابات العمالية في البلاد التي كانت امتداداً طبيعياً لما كان يتحرك في البلدان العربية، من وعي شيوعي، يحاول أن يقتلع الوجود الإمبريالي الأمريكي من جذورهِ حيث كان لجمال عبدالناصر دورٌ بارزٌ في إيقاظ روح التمرد والثورة عند الطبقة العمالية الكادحة, ويبدو أن ذلك كان هدفاً

مُخططاً لهُ من قبل النظام السوفيتي لِليّ عُنق السياسة الخارجية السعودية، ومحاولة إعادة بعضٍ من العلاقات بين النظامين.

وترصُد الوثائق السوفيتية بعض الاتصالات بين الدبلوماسيين السوفيت والسعوديين على إثر الاضطرابات السعودية، إلا ان تلك الاتصالات لا تعني وجود علاقات متينة ومُستقرة على مستوى الدولة، بالرغم من جميع محاولات الاتحاد السوفيتي لإقامة مثل هذه العلاقات، إلا أنه لم يُفلح في تحقيق أي تقدم ملموس في هذا المنحى، كما إن لقاء السفير السوفيتي في طهران مع الملك سعود بن عبدالعزيز لم يُسفر عن حدوث أي تحرك في هذا الاتجاه(54).

ومن ناحية أخرى فإن وساطة جمال عبدالناصر في موضوع إقامة مثل هذه العلاقات السوفيتية السعودية لم تُقنع العاهل السعودي، ولم تكن نصائح جمال عبدالناصر جديرةٌ بالاهتمام عنده، بل كانت الأمور تجري بالعكس؛ لأن الملك سعود بن عبدالعزيز كان يعتقد بأن العلاقات السعودية المصرية، ومن ثَمَ العلاقات السوفيتية السعودية ستُقوّي كثيراً دور مصر، بوصفها لاعباً رئيساً على صعيد السياسة الشرق أوسطية والعربية, وكانت فكرة أهمية الاتحاد السوفيتي بالنسبة إلى معالجة مهام السياسة الخارجية السعودية قد أخذت من عنايتهِ قسطاً كبيراً، يدلُ على ذلك ان هذه الفكرة قد طُرحت أثناء المُحادثات التي جرت بين الملك سعود بن عبدالعزيز والرئيس الأمريكي (إيزن هاور) في يناير عام 1957م، خلال زيارتهِ إلى واشنطن، حين أخبرَ الرئيس الأمريكي بوجود جماعة في بلادهِ يدعونَ إلى التعاون مع السوفيت(55).

ومما لاشك فيه فإن طرح هذه القضية في لقاء دبلوماسي رفيع المستوى بين الطرفين يدلُ دلالة قاطعة على المخاوف التي كان يحملُها الملك سعود بن عبدالعزيز من الوجود السوفيتي المُتزايد، في المناخ الشرق أوسطي والعربي, كذلك يُشير إلى الخوف من تعاظم شأن الحركات العمالية المُتأثرة بالمبادئ السوفيتية, وهذا يكشفُ ايضاً عن رغبة الملك بإيجاد حل جذري لمثل هذه المظاهر التي تُزعزع ثبات حُكمهِ، وهي في النهاية شكوى يوجهها الملك إلى الراعي الرسمي للوجود السياسي السعودي في المنطقة العربية عامة، والداخل السعودي بشكلٍ خاص.

ويبدو أن أهم الأسباب التي وسَّعت فجوة التباعُد بين السياسة السوفيتية والسياسة السعودية، وأدَّت إلى وأد امكانية التقارب التام بين النظامين في عهد الملك سعود: احتضان الإمبريالية الأمريكية للنظام السعودي، والتبايُن الحاد بين الآيديولوجيتين السياسيتين اللتين تتبعهُما السلطتان السوفيتية والسعودية، وهو اختلافٌ في البِنيةِ والأهداف من شأنهِ أن يوسع نطاق التباعُد بين الإثنين, فالاتحاد السوفيتي يتبنى آيديولوجية تقوم على المبادئ الشيوعية، وأما السعودية فأنها تتبع المبدأ الإسلامي ظاهراً، والذي يُخالف الشيوعية، وتتبنى كذلك مبادئ الإمبريالية الأمريكية, فضلاً عن أسباب ثانوية تتصل باللاعب الرئيس المُهيمن على سياسة الشرق الأوسط

والعلم العربي آنذاك، ومحاولة الحفاظ على هذا المركز، وتقويض أي منافس للسعودية عليه، ونعني هنا مصر بقيادة جمال عبد الناصر.

الخاتمة

ومن خلال ما سبق يمكن للباحث الخروج بالنتائج الآتية:

1- قدم لنا الكتاب المقروء صورةً بانورامية لمسار العلاقات السوفيتية السعودية في عهد الملك سعود بناءً على مُستنداتٍ ووثائقَ سوفيتية، لها أهمية فاعلة أسهمت في نقل القراءة التاريخية في الكتاب من الاقتباس والاعتماد على المصادر البحثية إلى التثبُت والدقة، من خلال اعتماد نصوص وثائقية تم تداولُها على أرض الواقع التاريخي.

2- قرأ الكتاب العيّنة منطقةً بِكراً تستشرفُ حِقبةً خِصبةً مشحونةً بالصراعات والتناحرات والتنافُرات, وشهدت ظهور الآيديولوجيات الكبرى التي بُنيت عليها سياسة الدول العُظمى، والتي كانت تُحرك دفة العلاقات السياسية آنذاك, وقد أُستُعرِض ذلك في ضوءِ رؤية قريبة من ميدان الحدث التاريخي ونابعة من طبيعة سياسة النظامين المدروسَين.

3- يُسجلُ هذا التحرُك البحثي خطوةً جديدةً في الدراسات التاريخية التي عُنيت بقراءة الخليج العربي؛ لكونهِ يقرأُ متناً تاريخياً وثائقياً أرشيفياً، ويكشفُ عن رؤية سوفيتية تجاه النظام السعودي.

4- اقتربت الدولة السعودية من الانهيار _كما يقول الكتاب_ في مُناسباتٍ عدة، وبدا مُستقبلُ البلادِ غامضاً؛ نتيجةً للصراع الداخلي المُتفجر، بين الاميرين السعوديين الأخوين سعود بن عبدالعزيز وفيصل بن عبدالعزيز, وكان للغليان السياسي الحاصل في العالم العربي في الفترةِ الانتقالية بين عهد عبدالعزيز آل سعود وولدهُ سعود تأثيرهُ الكبير في الأحداث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المملكة.

5- في أواخر الخمسينيات بلغَ الصراع الداخلي بين الملك سعود، وأخيه الأمير فيصل حداً، جعل الحديث عن ازدواجية السلطة في المملكة العربية السعودية آنذاك شائعاً؛ ذلك لأن الملك سعود كان يتدخل باستمرار في أعمالِ اخيه ولي العهد الامير فيصل ويُحاول ان يُقيد سلطتهُ.

6- اجتهدَ الباحثون السوفيت في الكشفِ عن نقاط التلاقي بين سياسة الاتحاد السوفيتي والنظام السعودي في حقبة الملك سعود بن عبدالعزيز في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين, وقد لمسوا بعض التقارب بين النظامين لوجود الدواعي التي توجب مد أواصر العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وبعض بلدان العالم العربي، ومنها السعودية ذات المكانة الاستراتيجية؛ للحصولِ على مساحاتٍ صديقة يستطيع الاتحاد السوفيتي المناورة والتحرُك بها، ويضمن انهاء الوجود الأمريكي والقضاء على اذرُعهِ السياسية، تحت غطاء الشيوعية السوفيتية القائمة على مُحاربة الإمبريالية التي بُنيَ عليها الخطاب السياسي الأمريكي.

7- ان احتمالات التقارب الحاصل بين النظام السعودي والنظام السوفيتي في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز ظلت باردةً ضيقةً على الرغم من وجود قنوات تواصل سياسية ودينية إلا أن البِنية الآيديولوجية السياسية

التي نهضَ عليها النظامان السياسيان السوفيتي والسعودي كانت تتسمُ بالتناقُض الحاد، والتنافُر الشديد؛ لاختلافهما في المبادئ السياسية، كما اتضح في البحث.

8- حاول النظام السياسي للاتحاد السوفيتي الإفادة من بعثات الحج إفادةً كبيرة؛ إذ وظّف الورقة الدينية لصالح الفعل السياسي, فأملى فيها أهم المبادئ التي تبناها وروّج لها الاتحاد السوفيتي، وهي مبادئ تقفُ بالضد من مبادئ النظام السعودي، وحليفهِ النظام الأمريكي الإمبريالي.

9- إن أهم الأسباب التي وسعت فجوة التباعد بين الجانب السوفيتي والجانب السعودي، وأدت إلى قتل فكرة التقارب التام بين النظامين التي كان يُفكر بها العقل السوفيتي آنذاك، كانت تتمثل باحتضان الإمبريالية الأمريكية للنظام السعودي، والتبايُن الحاد بين الآيديولوجيتين السياسيتين اللتين اتبعتهما السلطتان السوفيتية والسعودية, وهو اختلافٌ في البِنية الفكرية والاهداف السياسية من شأنهِ ان يوسع نطاق التباعُد بين الاثنين.

10- يُمكن للباحث أن يُقدم هُنا مُقترحاً للدراسات التاريخية المعنية بالخليج العربي يتمثل بقراءة الارشيف السوفيتي قراءةً مُتمعنةً؛ ليستخلص منهُ الرؤية السوفيتية تجاه العالم العربي بشكلٍ عام، والخليج العربي بشكلٍ خاص؛ للإفادة من ذلك في المُستقبل، وتجنب الوقوع في أفخاخ الاستعمار.

هوامش البحث/Search Margins

([1]) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, عهد الملك سعود 1953م-1964م رؤية سوفيتية, (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث, 2014), ص5.

([2]) المصدر نفسه, ص6.

([3]) الملك عبدالعزيز آل سعود: هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود(جد الاسرة) بن محمد بن مُقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المُريدي, ولد في قصر الامارة في الرياض سنة 1886م وعهد بهِ ابوه الى القاضي عبدالرحمن الخرجي فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ سوراً من القرآن, وكان يفوق اقرانه نشاطاً وذكاءً, وقد نشأ في سرعة فائقة شاباً طويل البنية قوي العضلات, وقد عاش في كنف والدهِ وتوافرت لهُ صفات القيادة التي مكّنته من حمل مسؤولية تأسيس دولة حديثة وبعد ان خاض مع والده حروباً عديدة حتى تمت البيعة الاولى لهُ في اجتماعٍ عام عُقد في الرياض سنة 1902م حضرهُ جمعٌ من العلماء وكبار الشخصيات اذ اعلن عبدالرحمن بن فيصل تنازلهُ الكامل عن حقوقهِ في المُلك لابنهِ عبدالعزيز وأهدى اليه سيف سعود الكبير, وبعد توحيد المملكة عام (1351ه) توجهت جهود الملك عبدالعزيز للعمل التنظيمي الذي اسس قواعده وأحكمَ تنظيمه وسارَ عليه خلفهُ من بعده, وهو اول من ايد بريطانيا ومنحها الامتيازات في المزيد من الامتيازات في الجزيرة العربية عام 1906م, اما وفاته كانت فجر يوم الاثنين الموافق اليوم التاسع من شهر تشرين الثاني نوفمبر 1953م. للتفاصيل يُنظر: صلاح العقاد, التيارات السياسية في الخليج العربي, ط2, (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية, 1974), ص190-191؛ خير الدين الزركلي, الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز, ط5, (بيروت: دار العلم للملايين, 1988), ص9؛ حافظ وهبة, خمسون عاماً في جزيرة العرب, (القاهرة: دار الافاق العربية, 2001), ص21؛ ألويس موسيل, آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية, ترجمهُ عن الالمانية وعلق عليه سعيد بن فايز ابراهيم السعيد, (بيروت: الدار العربية للموسوعات, 2003), ص140-149.

([4]) الملك سعود بن عبدالعزيز: هو سعود بن عبدالعزيز آل سعود ولد بمدينة الكويت في الرابع عشر من يناير عام 1902م, وتربى في منزلِ جدهِ بالكويت وحين بلغ الخامسة سلمهُ والدهُ عبدالعزيز الى الشيخ عبدالرحمن بن مفيريج اكبر مُقرأ ومجود للقرآن الكريم آنذاك يُفقههُ في الدين ويختم القرآن على يديه وهو في الحاديةِ عشر من عمرهِ وكان مُلازماً لوالدهِ وجدهِ مما أكسبهُ عادات وتقاليد القبائل وأصبح ميالاً لحياة البادية, ولما توفي الملك المؤسس عبدالعزيز في عام 1953م بويع سعود ملكاً على المملكة العربية السعودية وقد رسم بعدها ملامح سياسته الداخلية والخارجية, وفي عام 1965م تنازل عن الحكم لاخيه الامير فيصل وبايعهُ ملكاً على البلاد, وفي فبراير من عام 1969م توفي الملك سعود بن عبدالعزيز في اثنا عاصمة اليونان, ونقل جثمانه الى مكة المكرمة ثم نقل الى الرياض لُيدفن في مقبرةِ أجدادهِ. للتفاصيل يُنظر: عبير حسن عبدالباقي, تاريخ المملكة العربية العربية السعودية من النشأة للآن, (الاسكندرية: دار الكتيب والدراسات العربية, 2015), ص139-147؛ صلاح الدين المختار, تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها, (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة, د.ت), ج2, ص459-460.

([5]) نيكيتا خروشوف: هو السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي ورئيس مجلس الاتحاد السوفيتي في اواسط القرن العشرين, خدم الشيوعية السوفيتية خدمةً كبيرة الا ان أُضطر الى تقديم طلب خاص راجياً اعفائه من مناصبهِ عام 1964م, وعاش كمُتقاعد

نيكيتا لاحقاً تحت رقابة شديدة من قبل رجال اجهزة الامن السوفيتية الا ان توفي في 11 سبتمبر عام 1971م. للتفاصيل يُنظر: جريجوري كوساتش, ماجد بن عبدالعزيز التركي, المصدر السابق, ص349.

([6]) الشرق الاوسط: كان يُقصد بها بعد الحرب العالمية الاولى تلك المنطقة الواقعة في جنوب غربي اسيا وهي ايران والعراق والشام والجزيرة العربية, وكانت هنالك منطقة مُتاخمة لها أُطلق عليها اسم منطقة الشرق الادنى وتشمل اسيا الصغرى وتركيا ومصر وجنوب البلقان والجُزر الواقعة في الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط, على ان النظرة في تعريف الشرق الاوسط قد تغيرت بعد الحرب العالمية الثانية وتحددت بوضوح عندما اجمع العُرف الدولي عليها ولاسيما عندما تعارف العالم على اطلاق هذا الاسم عِقبَ العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م وأصبحت تشملُ المجموعات الاقليمية الآتية: المجموعة الافريقية:(مصر, السودان, اثيوبيا, ليبيا), والمجموعة الاسيوية:(السعودية, اليمن, عُمان, الامارات, قطر, البحرين, الكويت, فلسطين, سوريا, لبنان, الاردن, العراق), والمجموعة الاوربية:(تركيا, اليونان, قُبرص). للتفاصيل يُنظر: محمد كمال عبدالحميد, الشرق الاوسط في الميزان الاستراتيجي, ط4, (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية, 1972), ص17-19.

([7]) اليكسي فاسيلييف, تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر وحتى نهاية القرن العشرين, ط4, (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, 2013), ص445-446.

([8]) الامير فيصل بن عبدالعزيز: هو فيصل بن عبدالعزيز آل سعود اختلفت الروايات في تاريخ مولدهِ فمنها من ذكر انهُ ولد في 8 ابريل من عام 1906م, وقد سماهُ والدهُ فيصلاً تيمُناً بفيصل بن تُركي مؤسس الدولة السعودية الثانية, كان والدهُ يقوم بتدريبه على الحروب منذُ صغرهِ ويصطحبهُ الى الغزوات منذُ كان عمرهُ ثلاثة عشر عاماً, وبسبب ما اثبتهُ من براعة دبلوماسية عينهُ والدهُ وزيراً للخارجية وبعد وفاة الملك عبدالعزيز ومُبايعة الامير سعود ملكاً للبلاد بويع الامير فيصل بولاية العهد, وبعدما اعتلت صحة الملك سعود تمت مُبايعة فيصل ملكاً على البلاد في 3 نوفمبر من عام 1964م, ولهُ انجازات كثيرة نقلت المملكة العربية السعودية نقلة حضارية, ولمنزلتهِ الخطيرة في العالم العربي أُغتيلَ في 25 مارس من عام 1975م وأعلن الديوان الملكي نبأ إغتيالهِ على يد الامير فيصل بن مساعد. للتفاصيل يُنظر: صلاح ابو السعود, تاريخ المملكة العربية السعودية, (مكة: مكتبة النافذة, 2015), ص249-261.

([9]) اليكسي فاسيلييف, المصدر السابق, ص447.

([10]) ازمة السويس عام 1956م: هي ازمة بدأت منذ ان اعلن الرئيس المصري جمال عبدالناصر في 26 تموز 1956م في خطاب لهُ امام ربع مليون من سكان الاسكندرية في ساحة التحرير تأميم قناة السويس, ومع صحة القرار من الوجهة القانونية إلا ان قيامة لندن وباريس ضد عملية التأميم قد قامت ووصفت هذه العملية بانها سرقة وقرصنة وهكذا لجأت الدول الاستعمارية الى العُنف, وفي الحقيقة ان تأميم قناة السويس قد تكون سابقة خطيرة من وجهة نظر لندن وباريس لأنها تُشجع شعوب الشرق الاوسط على تأميم نفطها وهذا مالا ترضى عنهُ الشركات الاحتكارية الغربية, وقد اندلعت على اثر ذلك حرب ماعُرف بالاعتداء الثلاثي على مصر. للتفاصيل يُنظر: حسن العطار, الوطن العربي دراسة مُركزة لتطوراتهِ السياسية الحديثة, (بغداد: مطبعة اسعد, 1966), ساعدت جامعة بغداد على نشرهِ, ص66-68

([11]) الحرب العربية الاسرائيلية عام 1967م: هي الحرب التي بدأت حين بادرت اسرائيل في الساعات الاولى من صباح الخامس من يونيو عام 1967م بشنِ هجومٍ غادرٍ بطائراتِها على المطارات المصرية فشلت حركة الطيران المصري وتقدمت في الوقت نفسهِ القوات الاسرائيلية واستولت على مدينة غزة وعلى شبه جزيرة سيناء حتى وصلت الى قناة السويس, واحتلت الضفة الغربية للأردن والقُدس ومُرتفعات الجولان السورية, وبذلك احتلت اسرائيل ارض فلسطين بالكامل مُضيفة الى ما سبق أن استولت عليه في حرب عام 1948م, وفي اعقابِها بل زادت على ذلك الاراضي العربية التي احتلتها من مصر وسوريا. للتفاصيل يُنظر: احمد عزت عبدالكريم, دراسات في تاريخ العرب الحديث, (بيروت: دار النهضة العربية, 1970), ص480-481.

([12]) القومية العربية: تُعد القومية مفهوماً من المفاهيم الاجتماعية غير الثابتة, إذ لابد ان تتغير معانيه بتغيُر المجتمع الذي يُعبر عنهُ, وقد اختلف المُفكرون في تحديد مفهومها, فيرى بعضهم ان القومية في مظهرها الداخلي نوعٌ من الاحساس والوجدان, ويرى آخرون ان القومية مفهومٌ يعتريه بعض الغموض, ولكنهُ يُستعمل في معناهُ الدقيق للدلالة على صفة تعيين التبعين في داخل الامة او الدولة, في حين يرى آخرون ان القومية هي المستوى الرفيع الذي بلغتهُ الامم نتيجة التفاعُل الذي حصلَ بين افرادها من جهة وبين الظروف الطبيعية والتاريخية من جهةٍ اخرى, اما القومية العربية فقد كانت في بداية امرها مزيجاً من شتى العوامل الآخذة في التقدم والنمو وكل مرحلة من مراحل تناميها تختلف عن سابقتِها, وقد نشأت بدايات الحركة العربية القومية عن جذور ثقافية وأخذت طابعاً ثقافياً اول الامر ثم اتجهت الى الناحية السياسية فكانت البدايات في الانتباه الى الارث الثقافي والاعتزاز بدور العرب الحضاري. للتفاصيل يُنظر: ارنولد فان جينيد, هذه هي القومية, (بيروت: دار صادر, 1959), ص22؛ عبدالعزيز الدوري, الجذور التاريخية للقومية العربية, (بيروت: دار العلم للملايين, 1960), ص61.

([13]) مضاوي الرشيد, تاريخ العربية السعودية بين القديم والحديث, ترجمة عبدالاله النعيمي, ط3, (بيروت: دار الساقي, 2009), ص153.

([14]) اليكسي فاسيلييف, المصدر السابق, ص448-449.

([15]) مضاوي الرشيد, المصدر السابق, ص 154.

([16]) المصدر نفسهُ, ص 155.

([17]) الامبريالية: هي المرحلة العُليا للرأسمالية بدأت في اواخر القرن التسع عشر واوائل القرن العشرين والجوهر الاقتصادي والسمة الرئيسية لها تقوم على استبدال المُزاحمة الحُرة بسيطرة الاحتكارات حيث تكون الاحتكارات هي المُسيطر الكُلي على اقتصاد وسياسة اكبر البُلدان الرأسمالية. للتفاصيل يُنظر: وضاح زيتون, مُعجم المُصطلحات السياسية, (عمّان: دار اسامة للنشر والتوزيع, 2010), ص44-45.

([18]) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 81-82.

(19) الراديكالية: اصطلاح سياسي يُستخدم في الاشارة الى برنامج الاحزاب السياسية ويُقصد بهِ الدعوة الى اصلاح النظام البرلماني او الدعوة الى اصلاح شامل يمسُ جذور المشاكل التي تواجهها الدولة. للتفاصيل يُنظر: وضاح زيتون, المصدر السابق, ص192.

(20) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 92-93.

(21) الرأسمالية: نظام اجتماعي يسمح لكل فرد من افراد المُجتمع ان يسعى وراء مصلحتهِ الخاصة مُحاولاً الحصول على اكبر دخل, أي ان الفرد في النظام الرأسمالي حرٌ في اختيار نوع النشاط الذي يُمارسهُ في اختيار ما يستثمرهُ وما يستهلكهُ, وتؤمن الرأسمالية ان ملكية الافراد لوسائل الانتاج هي اكبر حافز على بذل اقصى جهد في سبيل انتاج الثروة التي تنعكس آثارُها على كُل افراد المُجتمع, وهي نظام اقتصادي يعتمدُ على النظرية الفردية وحرية العمل ويتسم بالتنافُس المفتوح في السوق الحُرة, ويقوم هذا النظام على تصنيف الشرائح الاجتماعية الى طبقتين: طبقة مالكة لوسائل الانتاج(البرجوازية): وهم يملكون الارض والمواد الاولية وأدوات الانتاج, وطبقة(البروليتاريا): وهي التي تكون مُجبرة على بيع قوة عملِها لأنها لا تملك وسائل الانتاج ولا رأس المال الذي يُتيح لها العمل لحسابها الخاص. للتفاصيل يُنظر: وضاح زيتون, المصدر السابق, ص192-193.

(22) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 77-78.

(23) المصدر نفسه, ص 133.

(24) المصدر نفسه, ص 134-135.

(25) حرب فلسطين عام 1948م: وهي الحرب التي بدأت حين لم تجد الدول العربية بُداً من التدخل العسكري في فلسطين لإنقاذ اهلها العرب من بطش الصهاينة وعلى الرغم من الجيوش العربية لمصر وسوريا والاردن والعراق قد بدأت تدخلها العسكري المسلح في فلسطين دون سابق استعداد مما اظهر نقصا فاحشاً في التسليح والتدريب والتموين الا انها قد احرزت بعض الانتصارات المهمة ولم تمض ايام ثلاثة على بدأ القتال حتى قدم مندوب حكومة الولايات المتحدة الامريكية الى مجلس الامن اقتراحاً لوقف القتال في فلسطين, وقد قرر مجلس الامن وقف القتال لمدة شهر واحد وفُرضت الهدنة الاولى في فلسطين ابتداءً من 11 حزيران 1948م, وقد اعطت هذا الهدنة لليهود فُسحة من الوقت لتنظيم قواتهم وجلب السلاح حتى اذا تجدد القتال في 8 يوليو رجحت كفة اليهود في فلسطين في مختلف الجبهات وقد اظهرت هذه المحنة التصدُع الذي كانت تعانيه الجبهة العربية, وتمت سيطرة اليهود الصهاينة على ارض فلسطين. للتفاصيل يُنظر: احمد عزت عبدالكريم, المصدر السابق, ص466-470.

(26) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 135-136.

(27) الشيوعية السوفيتية: هي مذهب سياسي يهدف الى القضاء على الرأسمالية والملكية الخاصة ويُنادي بأنشاء مُجتمع يتساوى افرادهُ في الحقوق, وقد ظهرت الشيوعية في روسيا بين عامي 1902و1903, عندما بدأت الثورة بين الطبقات العاملة في المُجتمعات الرأسمالية ويُطلق على الدول الشيوعية اسم الدول الاشتراكية او الدول ذات الستار الحديدي او الدول الحمراء. للتفاصيل يُنظر: جورج عزيز, العالم الاحمر من لينين الى مالنكوف, (القاهرة: دار المعارف بمصر, 1956), ص13-14؛ وضاح زيتون, المصدر السابق, ص226-227.

(28) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 136.

(29) مذكرة وزارة الخارجية السوفيتية حول البلدان التي اقام الاتحاد السوفيتي علاقات دبلوماسية معها: 15 يناير 1962م, ارشيف الدولة الروسي للتاريخ الحديث, ف50, وثيقة رقم 30, المجلد 398, ص 4640.

(30) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 140, 143.

(31) المصدر نفسه, ص 143-144.

(32) المصدر نفسه, ص 144-145.

(33) توصيات إلى الحجاج المسلمين في الاتحاد السوفيتي المسافرين إلى مكة المكرمة في عام 1959, ارشيف الدولة في روسيا الاتحادية, ف 6991, ملف 4, المجلد 102, ص 1-6.

(34) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 146-147.

(35) اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي, تقرير حول رحلة الحجاج المسلمين من الاتحاد السوفيتي إلى المملكة العربية السعودية, ارشيف الدولة الروسي في تاريخها الحديث, ف5, الوثيقة رقم 30, المرجع 4566, المجلد 93, ص 30-39.

(36) ضياء الدين بابا خانوف: هو المُفتي ضياء الدين وأحد قيادات الدوائر الدينية الاسلامية لمُسلمي اسيا الوسطى وكازاخستان التابعة للاتحاد السوفيتي, وكان مقرهُ في طشقند عاصمة جمهورية اوزباكستان وقد شمل مجال نشاطهُ جمهوريات اسيا الصغرى السوفيتية السابقة: (كازاخستان واوزباكستان وطاجاكستان وتركمانستان), وكان لهُ دورٌ في الاتصال بالمندوبين السعوديين في المؤتمر العالمي لجميع الاديان الذي عُقد في دلهي تحت رعاية الحكومة الهندية في نوفمبر عام 1957م. للتفاصيل يُنظر: جريجوري كوساتش, ماجد بن عبدالعزيز التركي, المصدر السابق, ص165-168.

(37) زيارة المُفتي ضياء الدين بابا خانوف إلى الهند لحضور المؤتمر العالمي لجميع الاديان, ارشيف الدولة الروسية, الملف 6991, المجلد 4, ص87-92.

(38) رسالة إلى الرفيق بوزين رئيس مجلس الاديان التابع لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتي والمؤرخة في 12 اغسطس عام 1964, ارشيف الدولة الروسية, الملف 6991, الوثيقة رقم 4, المجلد 163, ص 96.

(39) مشروع رسالة المفتي ضياء الدين بابا خانوف, ارشيف الدولة الروسية, الملف 6991, الوثيقة رقم 4, المجلد 163, ص 97-98.

(40) الكسندر بيلونوجوف, سفير في بلاد الاهرامات من مذكرات دبلوماسي, (موسكو: معهد الاستشراق في اكاديمية العلوم الروسية, 2008), ص 17.

(41) المصدر نفسهُ, ص 225-226.
(42) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 267.
(43) الصهيونية: هي حركة يهودية سياسية تهدف الى اعادة مجد اسرائيل بإقامة دولة يهودية في فلسطين, وذلك بتشجيع هجرة اليهود الى فلسطين وشراء الاراضي لإقامة المُستعمرات اليهودية في فلسطين, وقد حققت الصهيونية اول اهدافها بعد الحرب العالمية الثانية, بإعلان قيام دولة يهودية عنصرية في فلسطين واعتراف عدد من الدول بها وقبولها عضواً في الامم المتحدة, وقد تظافرت جهود كل من المملكة المتحدة البريطانية والولايات المتحدة الامريكية لإنجاح هذه الحركة من خلال دعمها بالمال والسلاح. للتفاصيل يُنظر: وضاح زيتون, المصدر السابق, ص235.
(44) مبدأ إيزن هاور: هو المبدأ الذي اطلقهُ الرئيس الامريكي ايزن هاور والذي يقوم على الافتراض القائل بنشوء فراغ في الشرق الاوسط بعد هزيمة فرنسا وبريطانيا في حرب السويس عام 1956م, وقد وعد المبدأ بنشر قوات امريكية لحماية الدول المُهدَّدة بالشيوعية, وفي عام 1957م طلب ايزن هاور من الكونكَرس الموافقة على استخدام القوات العسكرية الامريكية لمساعدة أي دولة في الشرق الاوسط تطلب مثل هذه المُساعدة لمواجهة دولة واقعة تحت هيمنة الشيوعية الدولية. للتفاصيل يُنظر: مضاوي الرشيد, المصدر السابق, ص168.
(45) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 269-271.
(46) المصدر نفسه, ص 274-275.
(47) سميرة احمد سنبل, العلاقات السعودية الأمريكية نشأتها وتطورها 1352-1395ه/1931-1975م, (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز, 2009م), ص 41.
(48) اليكسي فاسيلييف, المصدر السابق, ص 625-628.
(49) شركة آرامكو: هي شركة النفط العربية_الامريكية التي تاسست في عام 1944م, وكان لها دور في انعاش الاقتصاد والخدمات في المملكة العربية السعودية فقد كانت تُسهم في مد خطوط السكك الحديدية وحفر آبار عميقة لتوفير المياه بمضخات آلية مُلبية بذلك احتياجات القصور الملكية والعدد المُتزايد من سكان الرياض, وكانت تُساهم في غالبية الاشغال العامة التي نُفذت خلال العقد الاخير من حياة الملك عبدالعزيز آل سعود, وامتد دور آرامكو في تشييد البِنية التحتية للبلاد من اجل تيسير استخراج النفط وشحنهِ الى الاسواق الخارجية, فضلاً عن بناء الطرق والانابيب والموانئ والمطارات ويشمل ايضاً توفير المدارس والمستشفيات وكانت هذه الشركة تسدُ ثغرةً ناجمة عن قصور الخدمات العامة والتعليم والمرافق الصحية وانعدامها في بعض مناطق البلاد, وفي غياب جهاز الدولة كانت آرامكو مقاول الدولة الثانوي إذ كانت توفر خدمات حيوية للأسرة الملكية بالإضافة الى مشاريع عامة ظاهرة للغاية تُعزز السُلطة الملكية, وقد تشكلت القوة العمالية لهذه الشركة من جنسيات مختلفة اجنبية وعربية. للتفاصيل يُنظر: مضاوي الرشيد, المصدر السابق, ص133-141.
(50) سيدعلي السيدباقر العَوَّامي, الحركة الوطنية السعودية1953-1973م, (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر, 2012), ج1, ص77-87؛ جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 303.
(51) بيلايف, الامبريالية الأمريكية في العربية السعودية, (موسكو: د.م, 1957م), ص 178-185.
(52) قاعدة الظهران العسكرية الامريكية: هي قاعدة جوية أُنجز بناؤها عام 1946م, وكانت تُمثل الركيزة العسكرية الاساسية للولايات المتحدة الامريكية في المملكة العربية السعودية, وقد مُدد عقد ايجار هذه القاعدة لمدة خمس سنوات حسب اتفاقية وقعت بين الطرفين في 28 حزيران عام 1951م, وتعهدت الولايات المتحدة الامريكية مقابل ذلك بتجهيز الجيش السعودي بطائرات ودبابات حديثة, وقد نصَّ ملحق خاص بالاتفاقية على ان يتولى خبراء امريكيون تدريب الطيارين السعوديين, وقد اصبحت الظهران مقراً للمستشارين الامريكيين الذين وصلوا الى السعودية عام 1952م. للتفاصيل يُنظر: عناد فواز الكبيسي وآخرون, دراسات في تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية, (جامعة البصرة: مركز دراسات الخليج العربي, 1985), ص221-224؛ اليكسي فاسيلييف, المصدر السابق, ص463-464.
(53) اليكسي فاسيلييف, المصدر السابق, ص 450-451.
(54) جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, المصدر السابق, ص 370.
(55) المصدر نفسهُ, ص 307-308.

مصادر البحث/Search Sources

أولاً: الوثائق التاريخية:

1. اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي, تقرير حول رحلة الحجاج المسلمين من الاتحاد السوفيتي إلى المملكة العربية السعودية, ارشيف الدولة الروسي في تاريخها الحديث, ف5, الوثيقة رقم 30, المرجع 4566, المجلد 93, ص 30-39.
2. توصيات إلى الحجاج المسلمين في الاتحاد السوفيتي المسافرين إلى مكة المكرمة في عام 1959, ارشيف الدولة في روسيا الاتحادية, ف 6991, ملف 4, المجلد 102, ص 1-6.
3. رسالة إلى الرفيق بوزين رئيس مجلس الاديان التابع لمجلس وزراء الاتحاد السوفيتي والمؤرخة في 12 اغسطس عام 1964, ارشيف الدولة الروسية, الملف 6991, الوثيقة رقم 4, المجلد 163, ص 96.
4. زيارة المُفتي ضياء الدين بابا خانوف إلى الهند لحضور المؤتمر العالمي لجميع الاديان, ارشيف الدولة الروسية, الملف 6991, المجلد 4, ص87-92.

5. مذكرة وزارة الخارجية السوفيتية حول البلدان التي اقام الاتحاد السوفيتي علاقات دبلوماسية معها: 15 يناير 1962م, ارشيف الدولة الروسي للتاريخ الحديث, ف50, وثيقة رقم 30, المجلد 398, ص 4640.
6. مشروع رسالة المفتي ضياء الدين بابا خانوف, ارشيف الدولة الروسية, الملف 6991, الوثيقة رقم 4, المجلد 163, ص 97-98.

ثانياً: الكتب العربية والمُعربة:

1. احمد عزت عبدالكريم, دراسات في تاريخ العرب الحديث, (بيروت: دار النهضة العربية, 1970).
2. ارنولد فان جينيد, هذه هي القومية, (بيروت: دار صادر, 1959).
3. الكسندر بيلونوجوف, سفير في بلاد الاهرامات من مذكرات دبلوماسي, (موسكو: معهد الاستشراق في اكاديمية العلوم الروسية, 2008).
4. ألويس موسيل, آل سعود دراسة في تاريخ الدولة السعودية, ترجمهُ عن الالمانية وعلق عليه سعيد بن فايز ابراهيم السعيد, (بيروت: الدار العربية للموسوعات, 2003).
5. اليكسي فاسيلييف, تاريخ العربية السعودية من القرن الثامن عشر وحتى نهاية القرن العشرين, ط4, (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر, 2013).
6. بيلايف, الامبريالية الأمريكية في العربية السعودية, (موسكو: د.م, 1957م).
7. جريجوري كوساتش, ماجد بن عبد العزيز التركي, عهد الملك سعود 1953م-1964م رؤية سوفيتية, (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث, 2014).
8. جورج عزيز, العالم الاحمر من لينين الى مالنكوف, (القاهرة: دار المعارف بمصر, 1956).
9. حافظ وهبة, خمسون عاماً في جزيرة العرب, (القاهرة: دار الافاق العربية, 2001).
10. حسن العطار, الوطن العربي دراسة مُركزة لتطوراتهِ السياسية الحديثة, (بغداد: مطبعة اسعد, 1966), ساعدت جامعة بغداد على نشرهِ.
11. خير الدين الزركلي, الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز, ط5, (بيروت: دار العلم للملايين, 1988).
12. سميرة احمد سنبل, العلاقات السعودية الأمريكية نشأتها وتطورها 1352-1395ه/1931-1975م, (الرياض: دارة الملك عبدالعزيز, 2009م).
13. سيدعلي السيدباقر العَوَّامي, الحركة الوطنية السعودية1953-1973م, (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر, 2012), ج1.
14. صلاح ابو السعود, تاريخ المملكة العربية السعودية, (مكة: مكتبة النافذة, 2015).
15. صلاح الدين المختار, تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها, (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة, د.ت), ج 2.
16. صلاح العقاد, التيارات السياسية في الخليج العربي, ط2, (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية, 1974).
17. عبدالعزيز الدوري, الجذور التاريخية للقومية العربية, (بيروت: دار العلم للملايين, 1960).
18. عبير حسن عبدالباقي, تاريخ المملكة العربية العربية السعودية من النشأة للآن, (الاسكندرية: دار الكتيب والدراسات العربية, 2015).
19. عناد فواز الكبيسي وآخرون, دراسات في تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية, (جامعة البصرة: مركز دراسات الخليج العربي, 1985).
20. محمد كمال عبدالحميد, الشرق الاوسط في الميزان الاستراتيجي, ط4, (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية, 1972).
21. مضاوي الرشيد, تاريخ العربية السعودية بين القديمِ والحديث, ترجمة عبدالاله النعيمي, ط3, (بيروت: دار الساقي, 2009).
22. وضاح زيتون, مُعجم المُصطلحات السياسية, (عمّان: دار اسامة للنشر والتوزيع, 2010).